

سؤال

في زحام المدينة

تجلد صالح الدقر
تلقون ٢٢٩٧٧

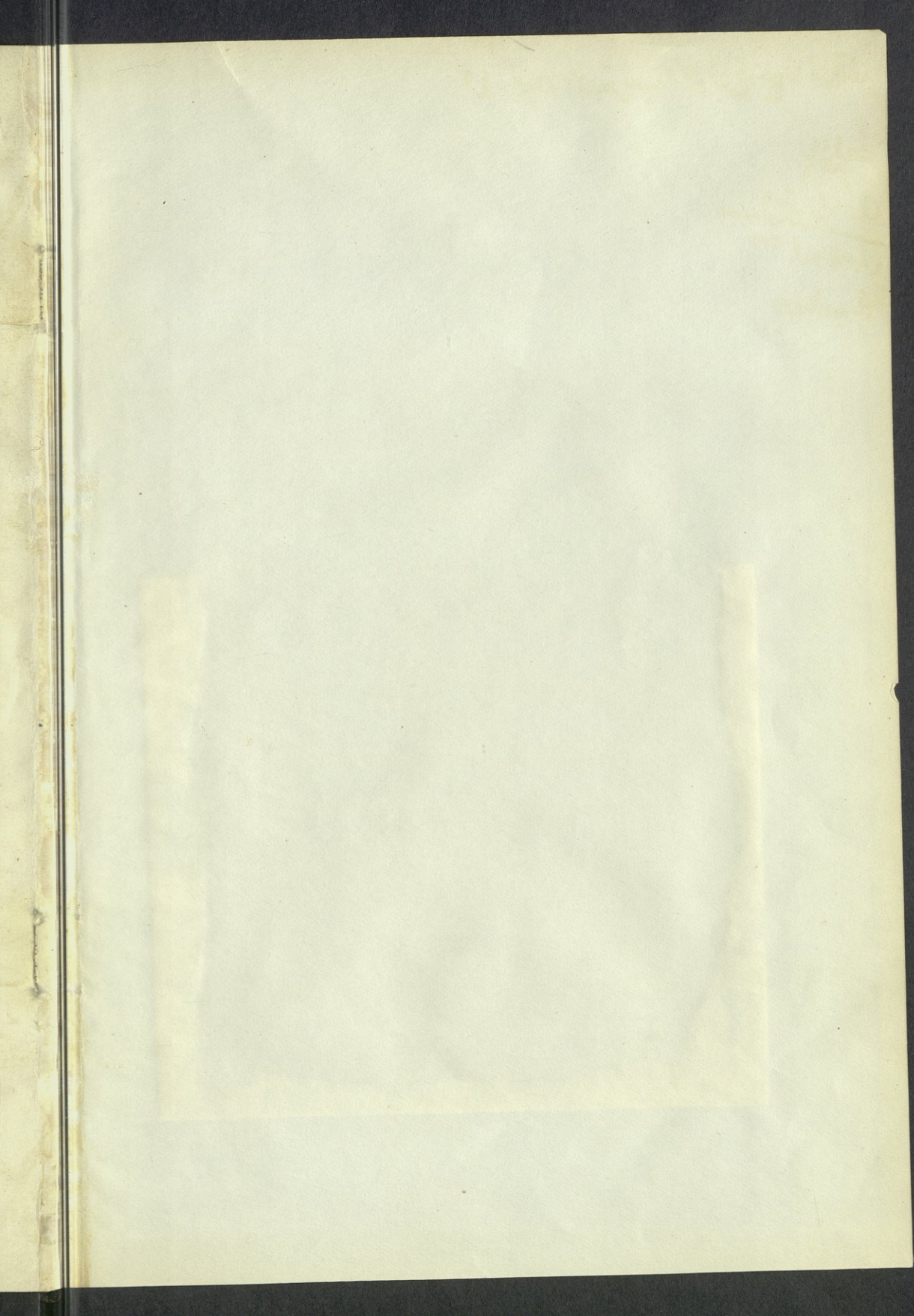
فہرست کتب

تالیف

نالیف

از مکتبہ

مکتبہ اسلامیہ



١٢ مجلة الاديب الزرق مع فانوس التقدير

المؤلف

انور شاول

١٩٣٥/١٠/١٠

الصالحيه فيد

892.78

Sh542PA

C.I.

في ظلال الحكيمه

قصص

تأليف

انور شاول

الصور بريشة الرسام يحيى جواد

مكتبة الخزانة والخطباء والمخارطة

طبع في بيروت - ١٩٣٥ - طبع - ١٩٣٥

In the Turmoil of the City

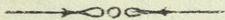
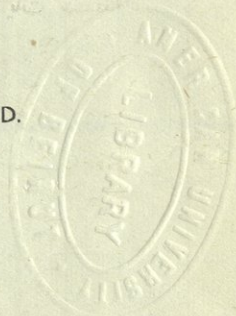
Short Stories

by

ANWAR SHAOOL

All rights reserved

Printed by THE TRADING & PRINTING CO. LTD.
Salhiyah — Baghdad.



نصير

في عام ١٩٣٠ نشرت « حصادي الاول » الذي ضمّ احدي
وثلاثين قصة كتبت معظمها وأنا بعد أتلقى الدراسة الاعدادية .

ومنذ ذلك التاريخ أصبح هذا الاثر البدائي من مواد أغلب
الدراسات والبحوث التي كتبت عن تطور القصة الحديثة في العراق .
واختلفت نظرات الكتاب والنقاد الى « حصادي الاول » .
وقال بعضهم عني :

- ♦ ثاني اثنين مهذا لكتابة القصة الحديثة في العراق .^(١)
- ♦ الرائد الثاني الداعي الى نشر القصة قراءة وكتابة في العراق .^(٢)
- ♦ يروي بلغة جيدة غالباً ولكنها غير مؤثرة ، حكايات بسيطة
أو غريبة لا تحمل معنى قوياً أو تدل على اتجاه هام .^(٣)
- ♦ قصاص بارع القصص ، حسن الاسلوب ، حسن الحبك . قد
يعرض في الجملة الواحدة ما لا يستطيع غيره ان يعرضه في
جمل .^(٤)

-
- (١) الاستاذ احمد حسن الزيات في مجلته « الرسالة » وهو يقدم
احدي قصص المؤلف .
 - (٢) الاستاذ جعفر الحلي في حديث له من محطة الشرق الادنى .
 - (٣) الدكتور سهيل ادريس في بحث « القصة العراقية الحديثة »
المنشور في مجلته « الآداب » .
 - (٤) الدكتور جميل سعيد في رسالته « نظرات في التيارات الادبية
الحديثة في العراق » من منشورات معهد الدراسات العربية
العالية التابع للجامعة العربية .

وقال آخرون انني كتبت القصة ولكنني ما لبثت أن هجرتها
وشغلت عنها بالصحافة فالمحاماة فالتجارة فأنا ابن القصة البار
بالامس والعاق اليوم •

وبرغم أن أثري الاول كان أثراً استطلاعياً لتلميذ متطلع فاني
لا أتوانى عن تحمل تبعته الادبية خف عبء هذه التبعة أم ثقل •
واليوم أقدم الى المعنيين بالقصة ، كتاباً وقراءاً ، « في زحام
المدينة » عسى أن يجدوا فيه ما لم يجدوه في « حصادي الاول » فان
خبت ظنهم فليشفع بي لديهم انني قدمت ما وسعني تقديمه •

انور شاؤل

خريف ١٩٥٥



الذميمة المهرتمة

واخيراً نزل الزوج ، على مضض ، عند رأي زوجته في وجوب احياء حفلة مختصرة احتفاء بالذكرى الخامسة والعشرين لزوجهما . ان موضوع هذه الحفلة كان مدار نقاش طويل بدأ منذ أكثر من شهرين . أيعتفلان يوبيلهما الفضي أم لا يعتفلان ؟ ان « سعيداً » لم يكن ليرى لزوماً لذلك بينما زوجته « ناهدة » كانت ترى خلاف ذلك . فان ذكرى جميلة كهذه ، ذكرى مرحلة حاسمة من حياتهما لهي مناسبة ذات شأن لا بد من الاحتفال بها . ومن يدري ان الفرصة ربما لا تتاح ثانية للاحتفال بنظير لها في ما بقي من حياتهما ! ...

وعندما اتفقا على وجوب احياء حفلة يوبيلهما الفضي نسب بينهما خلاف جديد : هل يقصران الحفلة على ولديهما وابتئهما والمقربين من أسرتهما أم هل يدعوان اليها جماعة من الاصدقاء ؟ ومن هم هؤلاء الاصدقاء الذين تجب دعوتهم الى هذه الحفلة ؟

كانت آراؤهما متضاربة في كل وجه من وجوه هذا
الموضوع وقد امتد الخلاف حتى الى بعض النقاط التافهة مما له
مساس بهذه الحفلة • ماذا ترتدي ؟ ماذا يلبس هو ؟ ما هي
ألوان الطعام ؟

كانت معركة حامية الوطيس لم يخب أوارها الا قبل
موعد الحفلة بأربع وعشرين ساعة فقط ، عندما قال الزوج
لزوجته وهو يرى الدموع تترقق في عينيها :

- أنا تحت أمرك يا « ناهدة » لا معنى لهذه الدموع ••
ان غداً عيدنا السعيد ••

فمسحت الزوجة دموعها وانبسطت أساريرها عن ابتسامة
حلوة • وعلت من الزوجين قهقهة متداخلة اعتادا أن يبعثاها
أثر كل خلاف قوي لا يلبث أن ينتهي بالتفاهم المحب •

وكانت حفلة رائعة ، طفحت فيها الوجوه بالبشر والقلوب
بالانس وكان « سعيد » و « ناهدة » كوكبي هذا الفلك
الصغير يضفيان على من حواليهما من ألق المحبة والود ما يأخذ
بالمشاعر ويسحر الالباب • وكانت ساعات من السمر الممتع
في جو عائلي عطر امتدت الى ما بعد منتصف الليل • اذ ذاك



أخذ الضيوف فى الاستئذان حتى اذا دقت الساعة دقتين لم
يبقى فى البهو سوى « سعيد » و « ناهدة » . وتلفت « سعيد »
ليتأكد ان أولادهما قد أووا الى أفرشتهم ثم دنا من « ناهدة »
وطوقها بذراعيه مسنداً رأسه الى رأسها وظل هكذا لحظة راح
بعدها طابعاً على ثغرها قبلته الطويلة المعهودة :

- لم تسأليني يا « ناهد » عن هدية هذا العيد ..

- أتظنني نسيتها يا « سعيد » ؟ انك اذن لمفعل عظيم ..

هيا قدم هديتك والا أيقظت الجيران بصراخي !

فوضع « سعيد » سبابته على فمه مشيراً عليها بالسكوت
وقال :

- ان الهدية لأعظم مما تتظرين • هدية من نوع جديد •

- « ماسة أغا خان » أم « زمردة راجا كشمير » ؟ • • هات • •

- أعتقد انها أهم من هذه وتلك •

فقالت الزوجة بدعابتها الساخرة :

- اذن هي « الباخرة كوين ماري » • •

هنا أخذ الزوج وضعاً جدياً وقال :

- انني قررت يا « ناهدة » أن أهدي اليك كل ما أملك

من أنانية وغرور وعناد • قررت ألاّ أخالف لك بعد اليوم
طلباً أو رأياً أو أمراً • •

- ماذا تقول ؟ أتعني انك لن تثير غضبي وانزعاجي في

أي أمر ؟ حقاً انها لهدية فوق ما يتصوره عقلي • • • أنت « سعيد »
تتنازل عن أنانيتك الصارخة ؟ • • •

- أجل يا « ناهدة » سوف أعمل المستحيل • ان ذلك ليس

بالامر الهين ولكنني سأطبع عليه مهما كلفني الامر من
جهد ووقت • • •

وهنا تملك الزوجة شعور غريب لم تأنس مثله طيلة حياتها الماضية ، وخيل إليها أنها امتلكت شيئاً أعظم شأنًا من « ماسة أغا خان » و « زمردة راجا كشمير » و « الباخرة كوين ماري » فطوّقت زوجها الحنون بذراعيها وهى تقول :

— وأنا أعاهدك يا سعيد أمام الله على أن أتنازل بدوري عن أنانيتي وغروري وعنادي : .. ثم أوى الزوجان الى فراشهما ليناما نوماً هادئاً حافلاً بالاحلام الجميلة .

ومرّت الايام والاسابيع والاشهر وكلا الزوجين بار بوعده ، مقيم على عهده . كلاهما كان يبذل قصارى جهده لارضاء الآخر والتنازل له عن وجهة نظره . كانت هذه التضحية من الزوجين بعيدة الاثر ، وكان تقارب مزاجيهما صعب المنال . ولكنهما بالمرانة والمثابرة والاصرار ، تعودا أن يلتقيا على صعيد واحد وفى نقطة واحدة . وزادتهما الايام تقارباً وامتزاجاً حتى اذا انقضى عامان كاملان على عهديهما الجديد بالحياة الوادعة الهادئة المندمجة شعرا بأن شيئاً عجيباً حدث لهما .. ! شيئاً لم يحسا به أول الامر ولكنهما اليوم يشعران به أيما شعور !

وجد الزوجان نفسيهما فى حالة غريبة من الهدوء

والركود ، انهما اليوم أصبحا وكأنهما فى حديقة مزهرة ولكن
لا عطر لزهورها ولا تغريد لطيورها . انهما اليوم يتطلعان الى
الافق فلا يبصران تلك الالوان الزاهية التى طالما تمتعا بها .

شعرا بالفراغ الذى أحدثه هذا الاندماج المكتسب . أين
تلك العواصف التى كانا نعيمان بعدها بالهدوء ؟ أين تلك
الدموع التى كانت الابتسامات تشرق من خلالها ؟ أين تلك
المجادلات والمباحكات التى كان يعقبها التودد والقبلات
الطويلة ؟

لم يبق شئ من كل هذا ، ان حياتهما اليوم تدور دوراناً
راتباً . انهما فقدتا لذة الصفاء بعد الجفاء ومنتعة الوئام بعد
الخصام . ويا ما أوحش حياة كهذه التى يحيانها اليوم .. !

وكما يتطلع الطفل الى بقايا دميته المهشمة كان « سعيد »
و « ناهدة » يتطلعان بين حين وآخر الى ذكريات ماضي حياتهما
الحافلة ! .



The first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the

the first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the

the first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the

the first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the

الحمد لله

تملكني في الايام الاخيرة شعور بأن العمل المرهق المتواصل حرمني نعم الرياضة فلم أحظ منها حتى بالبسيط الذي يدخل في عداد الحد الأدنى لمستلزمات الكيان البشري • وزاد حالتي هذه تعقيداً انني أسكن داراً بجوار محل عملي ، فكان جلّ رياضتي اليومية انني أقطع الامتار العشرة التي تفصل بين مسكني ومحل العمل مرات أربعاً كل يوم •

وأثارت هذه الحياة الراتبة وهذا الحرمان من الرياضة جدلاً عائلياً طال فيه الاخذ والرد حتى استقر الرأي على أن أحاول تعديل هذا الطراز من الحياة ولو على نطاق ضيق • ذلك بأن أقصد صباح كل يوم سوقاً تبعد عن دارنا عشر دقائق لشراء بعض الجوائح المنزلية كالقواكه والخضر • ان تدبيراً كهذا سيساعدني حتماً على استنشاق هواء الصباح البليل ، ويغير أمامي الصور المألوفة وأخيراً - وهو الاهم - يسر لي رياضة يومية هادئة مفيدة •

لم أذوق هذا الاقتراح ولم أعمل به ، لا لكوني لم
أؤمن بفائدته انما لعدم ألفتي ارتياد حوانيت البقالة أو ارتياحي
لشراء لوازم البيت المعاشية • انني لم اعتد أو أحاول ذلك
منذ الصغر •

ومرت أيام ثلاثة فقط •• وفي اليوم الرابع أثرت في
البيت ضجة ، أغلب ظني انها كانت مصطنعة ، وخلاصة
ما وقع اننا لم نجد على مائدة الطعام اية فاكهة عند الغداء •
فقام أولادي للأمر وقعدوا ، وفتحت محضر تحقيق عائلي
للفور فاتضح أن الكل قرروا الاضراب عن القيام بمهمة شراء
الفواكه ، وان الحل الوحيد ينحصر في قرار خاطف خلاصته
« ان عليّ شراء الفواكه بنفسني •• أو لا فواكه بعد اليوم ! » •
ورضخت للحكم ولم أحاول اعتراضاً أو تمييزاً ••!

★ ★ ★

استيقظت قبل شروق الشمس وقبل أي شخص آخر
في البيت • وتركت الدار في حين لم يزل من فيها نعيم في
نوم الفجر الهانئ •• وأخذت طريقى الى السوق • وكم لذ
لي أن استنشق ، وأنا أوسع الخطى ، نسائم الربيع العطرة
واشاهد بغداد تستيقظ وتنشط للعمل • فالعمال والباعة

وصغار الكسبة سبقوني الى حومة العمل • وشعرت فى نفسي ،
وأنا فى منتصف الطريق الى سوق البقالين ، برغبة ملحة
تدعوني الى أن اتباطأ فى سيري ، ليتسنى لي التمتع بأوفر
قسط من صور وألوان تكاد تكون غريبة عليّ •

وقبل أن أصل الى البقال اقترب مني صبي يحمل بيده
علاقة وسألني :

- عمي •• حمال ••

قال ذلك وهو يقضم بأسنانه قطعة صمون يابسة ويستتر
بعلاقته ثوبه الممزق • وبرغم ما كان يبدو على هذا الصبي من
شحوب وهزال فقد حاول أن يظهر بمظهر الحمال النشيط
الذى فى مكانه أن يحمل ارطالاً من الحوائج •

لم يكن الطفل ليتجاوز العاشرة ، ان صح تخميني ، فقلت
لنفسي ان الاطفال أمثاله هم الآن محمولون على أجنحة
الاحلام فى انتظار من يوقفهم للفطور والذهاب الى المدرسة ••
ألا ما أقسى القدر على هذا الطفل وأمثال هذا الطفل ••

وأشرت على الحمال الصغير بأن يتبعني فسار وحاول
أن يبرهن لي على نشاطه بأن أخذ يسرع خطاه الى حد القفز

والهرولة أحياناً .. كما راح يدي استعداداه ليكون مرشداً
الى جانب مهمة الحملالة التي يتعهد بها .

وسار وسرت . واذا بقطعة نقود من فئة العشرة فلوس
تسقط من جيب الصغير . وكأن قلبه قد سقط معها ، فرمى
بنفسه على القطعة يلتقطها وهو يصيح بذعر :

- عمي الله يرحم والديك .. ما أسويها
بعد .. والله ما أسويها . عمي ما أسويها ..
وراح ير كض متلفتاً مولولاً : « ما أسويها
بعد » .

لم أفهم شيئاً من هذه الحادثة التافهة التي
سرعان ما تطورت الى ملاحقة للطفل اشترك
فيها بعض المارة وكناسي الطرق انضم اليهم
حارسان أهليان من حراس الهزيع الاخير من
الليل ونائب عريف شرطة صادف مروره
آنذاك .



ظل الطفل يركض وهذه الجمهرة من الناس تلاحقه حتى
سدت عليه المنافذ بعد أن ضربت حوله طوقاً من حديد ٠٠ !

كنت أتابع هذا المشهد باهتمام ٠ رأيت الشرطي يأخذ
جاداً بيد الطفل الى المركز سائلاً اياه بالحاح : «ماذا نشلت من
السيد ؟ ٠ وكان يقصدني أنا بكلمة السيد ٠

دخلت المركز وقصدت غرفة المأمور ، بينما ظل الناس
متجمهرين في الطريق يستطلعون جلية الخبر ٠

رأيت الطفل كالطائر المذعور يتخبط في يد صياده واذ
وقع نظره علي هرع نحوي مستعظفاً :

- عمي ٠٠ خلصني !

وسألني مأمور المركز هل سرق هذا الحمال مني شيئاً
فأجبتة بالنفي وأكدت له انه لم يسرق أي شيء من أي
شخص ٠٠ فقد كان سائراً بصحبتني وكل ما حدث ان
قطعة من النقود سقطت من جيبه فالتقطها وركض ٠٠

أطلق المأمور سراح الحمال الصغير فخرج وخرجت من
المركز وانفض الناس ٠ واذ ذاك دنا مني الصبي وقال لي
بصوت خافت مرتبك :

- الله يخلي لك ولدك يا عمي .. خلصتني من الحبس .
فبششت له واستدرجته الى السير معي قائلاً له بلطف ان
عليه أن يطلعني على حقيقة الامر . فهذا واجب عليه الآن .
- عمي أنا بيايگ عشر فلوس . بس وداعتك عمي بعد
ما أسويها . !

واذ سأله ممن سرق العشرة فلوس أجابني بما كشف
لي عن صورة دامية من صور البؤس والحُرمان ! أخبرني ان
زوجة أبيه تحتم عليه ، لقاء اعالته في بيتها ، العمل والتكسب
من مطلع الفجر حتى المساء وتسليمها كل دخله .. وقد سوتت
له نفسه مساء أمس أن يحتفظ لنفسه بعشرة فلوس من دخله
الذي تجاوز المائة فلس علّه يتوصل بتكرار هذه السرقة على
حد تعبيره الى جمع أربعين فلساً تمكنه من الذهاب الى السنما ..
وقال لي وهو مضطرب :

- عمي .. ترى لو حسّت بي مرت أبوي محدّ يگدر
يخلصني منيديها . !

وأخذ يتضرّع اليّ بأن أحفظ سره مكتوماً فطمأنته ان
السرّ سيبقى مكتوماً بيني وبينه ونقدته درهماً قائلاً له انه

له وحده وبوسعه أن يذهب به الى السنما • ونصحته أن يستمر
على الاحتفاظ لنفسه بعشرة فلوس أو عشرين أو ثلاثين فلساً
من دخله كل يوم ••

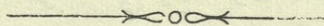
غاب عني الحمال الصغير تعلو وجهه البشاشة والفرح
وتطلعت أنا الى ساعتني فاذا بها تشير الى الثامنة •• فهرولت
عائداً الى البيت وأنا استعرض في ذاكرتي ما سمعت وقرأت
خلال ربع قرن من الدراسات المستفيضة والتعليقات الخلابه عن
وجوب مكافحة التشرد وصيانة النشء وضمان حياة موفورة
لهم •• !

★ ★ ★

دخلت الدار عائداً من السوق فرأيت العيون تتطلع الى
يدي الفارغتين • وتطلعت أنا كذلك فعلت وجهي ابتسامة
عريضة وقلت :

- صدقوني •• انني معذور • سأقصر عليكم مساء
ما شاهدت هذا الصباح ••

وتناولت فطوري على عجل وقصدت الى محل عملي وأنا
أشد نشاطاً وأوفر حماسة من أي يوم مضى ••• !



علم اللفظ

ما تذكرت يوماً حكاية « المعلم عبدالفتاح » البصير الا
لامس قلبي ألم خفيف مبعثه العطف الذى هو غاية ما فى
استطاعة المرء أن يجود به على أمثال « المعلم عبدالفتاح » فى
ساعات محتهم .

ولئن كان العطف لا ينقذ الموقف أحياناً فهو على الاقل
يلطف من هول الصدمة ويخفف من وقع المصاب . لا سيما
إذا كانت الصدمة صدمة حبّ والمصاب مصاب فشل مريع !
أجل انها لقصة أليمة قصة « المعلم عبدالفتاح » هذا الرجل
الذى لئن حرّمته الاقدار نعمة البصر فقد اختصته ببصيرة
مفتحة ، بفكر واع وقلب حساس . ولكم ترددت قبل هذا فى
سرد حكايته على أصدقائي خشية أن أذيع أمراً لا يرغب
صاحب العلاقة فى ذبوعه ولكن « المعلم عبدالفتاح » نفسه قضى
على هذا التردد فقد سمعته أكثر من مرة يقص حكايته على
رھط من المتفنين حوله . يقص واقعة حاله بدون تلكؤ أو

تردد • وعندما كان يجد منا آذاناً صاغية ويتلمس فينا العطف
الشديد كان يزداد عناية ودقة في سرد حكايته • اذن فأنا اليوم
لا أهتك سترأ ولا أذيع سرأ اذا قصصت حكايته بحروفها •

وسأحاول - على قدر ما تسمح به الذاكرة - أن أسرد
الحديث عن لسان بطل القصة وبتعابير وجملة وكماته فذلك ،
على ما أعتقد ، أصحّ نقلاً وبالتالى أعظم وقعاً •

قال المعلم البصير :

« كانت السنة الماضية سنة سعد وشقاء • تذوقت في
العشرة الاشهر الاولى منها لذة السعادة التى حرمتها طيلة
حياتي الماضية وفى شهرين الاخيرين صحوت وعلى ثغري
كأس محطمة وبين جنبي قلب موجد ! يا لتلك الذكرى الحلوة
المريرة يوم جاءني صديقي أسعد واسر فى أذني ان عائلة من
كرام العائلات تبحث عن معلم يقوم بتدريس ابنتها اللغة
العربية ساعة كل يوم واذا سألته عن عمر هذه الابنة أجابني
انها فى السادسة عشرة من سنيها وقد أنهت الصف الرابع
الابتدائي وكبر سنّها لم يجد أهلها مناسباً أن تداوم فى
المدرسة لأن أخلاق اليوم تختلف عما كانت عليه بالامس •

وعيون الشبان طائشة وقحة .. والمغريات كما يعلم الكل
كثيرة والمزائق تعترض كل سبيل .

- حسناً وما هي الاجرة ؟

- الاجرة دسمة فلا يساورك القلق !

والحق ان مسألة الاجرة كانت عندي النقطة الحيوية في
الموضوع اذ أي شيء في العالم يهتم عاجزاً فقيراً مثلي
كالدرهم يسدّ به جوعه ويستر معاييه ويصد عنه عوادي
الزمن .

تمّ الاتفاق على الاجرة وبدأت بمهمتي من غرة الشهر .
لقد قمت قبل هذا بتدريس فتيان كثيرين ولكنها المرة الاولى
التي أدرّس فيها فتاة . استقبلتني العائلة بترحاب واحترام -
ومظهري يساعد على الاحترام ولا فخر - وقدمت لي الام
ابنتها فرجبت بها وقلت لها الامل ان ذكائك سيساعد على
تلقي أرقى دروس اللغة فسمعتها تضحك ضحكة هادئة وتقول:
ان شاء الله يا معلمي .

وقضيت اليوم الاول بفحص تلميذتي فاذا بها ضعيفة جداً
في مبادئ اللغة العربية حتى انها لم يكن باستطاعتها انشاء
جملة ذات أربع كلمات بدون غلطة أو غلطتين فتأملوا !!

ومرّ الاسبوع الاول بسلام وسألت اذا كان عليّ أن
أحضر نهار الجمعة فقل لي ان يوم الجمعة سيكون يوم استراحة
فقلت حسناً . ولكنني في الحقيقة شعرت بامتناع من هذا
الانقطاع على قصره . لماذا ؟ هذا ما ستكشفه الايام القريية .

كانت تلميذتي ذكية ، رخيمة الصوت ، عذبة النبرات .
صدقوني يا اخواني انني طيلة الخمس والثلاثين سنة من حياتي
الماضية لم أحنّ الى رؤية وجه بشري حيني الى رؤية وجه
تلميذتي . فقد أخذت أشعر نحوها بشعور غامض فسرته لأول
وهلة ، واطنه كان تفسيراً صحيحاً ، بشعور « الاستاذية » .
ولا غرابة فالتلميذ أقرب الى نفس المعلم من الابن أحياناً .

ومر أكثر من شهر وارتفعت الكلفة بيننا . وفي ذات
يوم طلبت مني تلميذتي بشيء من الخجل ، أن أُملي عليها
أبياتاً من الشعر ، اثنين أو ثلاثة ، على أن تكون من أشعار الحب !
فاهت بجملة « أشعار الحب » بنبرة خافتة ولكنها على خفوتها
وقعت على مشاعري وقوع المطرقة .

تطلعت اليها بعيني المغلقتين اللتين لو قدر لهما أن تفتحا
ساعتذاك لابصرتا ولا شك رأساً مطرقاً وخدين من الحياء
موردين .



كان لها ما أرادت وأملت عليها بيتين من أرق ما حفظت
من أشعار الحب وبعد أيام رجعتني أن يكون الاملاء رسالة
نثرية تتضمن عتاباً لحبيب نافر ... يا لله ما هذه الرواية التي
تمثل أمامي ... بل ما هذا الحلم ...

منذ ذلك الاسبوع أصبحت قليل الرقاد أحلم بتلميذتي
فاذا تمددت على سريرى استعرضت ما نطقت به من كلام
طيلة الدرس كلمة كلمة واستعدت نغمات صوتها العلوي
على مسمعي وحاولت عبثاً أن أترسم صورتها في مخيلتي •
لا شك انها من حور الجنان ... بل انها ملاك هبط من
السما لاسعادي ... رباه أيمن ذلك ؟ • أيمن أن تحب

مثلي ؟ • أنا البائس الاعمى ! من يدري ••• ان سهام الحب
طائشة تصيب القلوب على العمياء • فلا يسلم منها فقير
أو غني ، كبير أو صغير • والقلب اذا أحب لا يسأل لماذا
أحب ولمن أحب ؟ انه اذ ذاك ينسى كل شيء ما عدا أن عليه
« أن يحب » •

انها تطلب مني اشعاراً غزلية ، قطعاً ورسائل في الحب
والعتاب والحنين ، لم كل ذلك ؟ ألانها لا تجرؤ على مفاتيحي ؟
ربما كان ذلك ، فعلي أن أصبر قليلاً •

وفي ذات يوم أبرزت لي رسالة من انشائها ورجتني
أن أصححها ، أما الرسالة فقد كانت تتسلسل هكذا :-

« الى من بيده زمام أمري »

« عندما تسمع زقزقة العصفور صباحاً »

« فاعلم انه يبثك تحياتي وأشواقي ! »

« وعندما تخفق النجوم في جنح الظلام »

« فهي تريد أن تذكرك بخفقات قلب »

« جريح جاثم بين ضلوعي ! »

« في أريج الزهرة شذا حبي لك ! »

« وفي خرير الساقية نغمات حنيني اليك ! »

« ان نظرة واحدة في اليوم لا تكفي »
« لهذا القلب الجائع الى غذاء الحب »
« كن دائماً الى جانبي لاشعر بالسعادة »
« الابدية . »

هذه هي الرسالة وهذا مضمونها وهي كما ترون
فصيحة بليغة ، فماذا أصحح فيها ؟ حرت في أمري وتولاني
اضطراب لا أخاله خفي عنها . كنت أشعر بأن الارض تدور
بي الفضاء وكنت أتصور ان تلميذتي تمد الي ذراعيها
تريد تطويقي ، تريد احتضاني بل تريد تقبيلي .

وظللت في حيرة من أمري لا أدري ماذا أعمل وماذا
أقول ؟ .

أما هي فبادرت تقطع السكون العميق بجملته وادعة :
- لا بأس لترك الرسالة الآن .

وعندما يصل « المعلم عبدالفتاح » في قصته الى هنا
يتنفس الصعداء ويحرج فنجان القهوة - الذي ظل ينتظر في
يده طويلاً - جرعة واحدة ثم يمسح فمه بكفه ويتنحج قليلاً
ثم يقول :

وتمر شهور عشرة كاملة وأنا غارق فى بحر من هذا
الحب الغريب وتشاء الصدف أن تقع فى يدي عن طريق
الالتباس احدى رسائلها فاطلع على مضمونها وعلى اسم
الشخص المخاطب فيها فاذا بالحبيب هو غير هذا الاعمى
البائس واذا بفتاها طالب طب يمت اليها بقرابة بعيدة .

لم يكن ذلك البناء الشامخ سوى رغوات صابون اذابتها
شمس الحقيقة فى أقل من لمح البصر . يا للصدمة العنيفة .
ان تلك المشاعر المتدفقة التى كانت تسيل على الورق رقيقة
لم تكن لي .. كلها كانت لهذا الغريم اللعين ، رباه ! من
هو هذا ياترى؟ وكيف العثور عليه لصدده عن سلب من أهوى .

ظلت طيلة تلك الليلة أهذي هذيان المحموم ثم ثبت الى
رشدي شيئاً فشيئاً وقلت فى نفسي ويحك يا هذا أتطمع ،
وأنت البصير المشرّد ، بمثل هذا الحب . انك أعنت العاشقين
على انماء جبهما وبناء عشمهما بما أملت من أبيات وما حررت
من رسائل وأصلحت من مقاطيع والآن فعليك أن تقف
عند حدك بل عليك أن تظل على ما كنت عليه أعمى أصم أبكم .
حسناً قلت فى نفسي فلاجرب .

وفى اليوم التالى ذهبت على عادتى الى دار تلميذتى
وكنت أحمل نفسي حملاً وأجرّ رجلي جرّاً وقبل أن أطرق
الباب سمعت الخادمة تقول :

- يا عمي عبدالفتاح أمرني سيدي أن أخبرك بأن
كريمته اكتفت بدروسها وهو يرجو أن تنقطع منذ اليوم .
أما بقية الحساب فسيرسلها اليك مع صديقك أسعد فمع
السلامة ... مع السلامة عمي عبدالفتاح ...

- مع السلامة .

قلت ذلك بصوت مخنق ورجعت متعثراً بأذيالى شارد
الفكر واللب ! .



الکتنوریہ

رحم الله « الدكتور يسري » !

انه كان طبيباً انسانياً يتحلى بالنبل والشمم والعطف والحمية . وينفرد ، فيما ينفرد به من خصال ، بذلك التواضع الذى حبه الى كل من اتصل به من معارف أو زبائن .

كان كريماً معتداً بنفسه دون غرور . اذا قام بعمل ما قال انه قام به ، ولا ورد تعبيره بالنص ، « متحملاً مسؤوليته مائة بالمائة ! » فاذا صادف عمله نجاحاً ابسم واستبشر واذا أخفق علت وجهه كآبة خفيفة هى كل ما يعبر به عن ألمه وأسفه .

رحم الله « الدكتور يسري » !

كم تأملت ، أمس ، عندما مررت بعيادته فرأيت خادمه « عبدالله » ينزل اللوحة البيضاء عن الواجهة ، تلك اللوحة التى لم يخط عليها أكثر من كلمتين اثنتين هما « الدكتور يسري » وعندما أبصرني « عبدالله » اتطلع اليه اغرورقت عيناه بالدموع ثم ما لبث أن دنا مني قائلاً

بحسرة : « عمي ٠٠٠ من الذى سيعالج أطفاله الكثيرين ؟ »
وأشار بيده الى لوحة ثانية صغيرة سمّرت الى يمين باب العيادة
وقد كتب عليها :

يعالج الاطفال مجاناً

من الساعة ٥ الى الساعة ٧

مساء كل يوم

ثم راح يقلع هذه اللوحة من مكانها وهو يتنهد .

لم يكن « الدكتور يسري » طيلة العشر سنوات الاولى
من مزاولته مهنة الطب ليعنى بتطبيب الاطفال ولكنه فى
السنوات الخمس الاخيرة كرس جانباً مهماً من عمله اليومي
لتطبيبهم وراح يفتقد على هؤلاء الاكباد المتنقلة على الارض
الشيء الكثير من تفكيره بل ومن روحه الفياضة بأنبل
الاحاسيس .

كان يجذب عليهم بكل عواطفه ويكافح كفاح الابطال
لانتقاذهم من أمراضهم . كم من ساعات طوال قضاها الى
جانب أسرّتهم ، يلاطفهم ويداعبهم . كم كان يركب سيارته
فى وقت متأخر من الليل ، قاطعاً بها المسافات البعيدة ، لعيادة

طفل جيء به نهاراً اليه وهو في حال خطرة ، والاطمئنان من
زوال الخطر عنه . وكثيراً ما كان يصرف من جيبه ما يقتضيه
توفير الدواء لبعضهم من مبالغ . كان همه كل همه أن يشيع
الصحة والسعادة في هؤلاء الاطفال لا ينتظر من وراء ذلك
لا جزاءً ولا شكوراً ..

وكان تصرفه هذا يسترعي من الناس انتباههم ويكسب
تقديرهم كما كان يثير فيهم أحياناً حب التعليق . فمن قائل ان
« الدكتور يسري » كان يفعل هذا لان الله لم يمن عليه بطفل
فهو ازاء حرمان يحاول اشباعه . ومن قائل انه كان يحنو على
الاطفال لانهم في الحقيقة والواقع أضعف حلقة في سلسلة
مراجيعه من المرضى . ومن جازم بأن « الدكتور يسري » اختص
الاطفال برعايته لانه رغب حديثاً في أن يوسع من أفاق خبرته
في مهنة الطب .. الى غير هذا وذاك من التعليقات .

ولكن أياً من هذه الاقاويل لم يصب الحقيقة ، الحقيقة
الرائعة التي كمنت وراء هذا العطف الدافق على الاطفال ووراء
هذه المشاعر المشبوبة والكفاح المتواصل في نطاق خطة رسمها
« الدكتور يسري » لنفسه منذ خمس سنوات !

أجل .. ان الحقيقة لم تكن على ما ظن الكثيرون .
وبوسعي اليوم ، وصديقي « الدكتور يسري » فى ذمة الله ،
أن أتحدث عما عرفت من غريب أمره واكتشفت من غامض
سره !

فى مساء أحد أيام الشتاء رن جرس التلفون فى دار
« الدكتور يسري » وكان قريباً منه فأسرع ورفع السماعة
ليجيب المخاطب بلهجة خافتة : « الدكتور خارج الدار .
وسيتأخر » .

ربما كانت هذه هى المرة الاولى التى كذب فيها الدكتور
طيلة حياته العملية . ان جوابه التلفونى تداعى على لسانه دون
انعام أو تمحيص . كل ما كان يشغل فكره آنذاك انه على
موعد فى دار أحد الاصحاب لقضاء « سهرة لعب » قصيرة يرفه
فيها عن نفسه بعد يوم كله تعب وعناء .. أما وقد آن له أن
ينطلق فلماذا يلبي هذا النداء الذى قد يفسد عليه سهرته ويحرمه
لذة « البوكر المكشوف » الذى أصبح شغوفاً به فى الاشهر
الاخيرة .

لم يتعب ذهنه ، وهو يغادر الدار الى موعد صحبه ، لمعرفة

من عساه أن يكون المتكلم بالتلفون : ذلك الشخص الذى
سمى نفسه « عبد الجليل » ... انه يريد الانطلاق ... انه الآن
فى واد و « عبد الجليل » فى واد ...

واكمل عقد الصحب ، وكان خليطاً من الجنسين والتمعت
القاعة بالوجود المشرقة وتلاً لأ البهو بالثريات المتألقة ، وتبودلت
الانخاب والنكات .. وبدأ اللعب ..

وخيل الى الدكتور يسري ان جرس تلفونه يعاود الرنين ..
وان صوتاً أجش يقول : « أنا عبد الجليل .. أنا عبد الجليل » من
يكون ترى عبد الجليل ؟ وتذكر ، وهو فى غمرة من المشاعر
والاخيلة المتدافعة فى فترات اللعب ، ان « عبد الجليل » هو ربّ
العائلة التى تسكن الزقاق المجاور لداره وان المريض هو ابن
عبد الجليل ، ذلك الطفل الذى لم يتجاوز الخامسة من سنيه .
جاء به أبوه أول أمس وهو فى حالة تدعو الى القلق ولكن
الأب لم يعد ثانية بولده اليه ... انه الآن فى حاجة اليه ..
لا شك فى ذلك ...

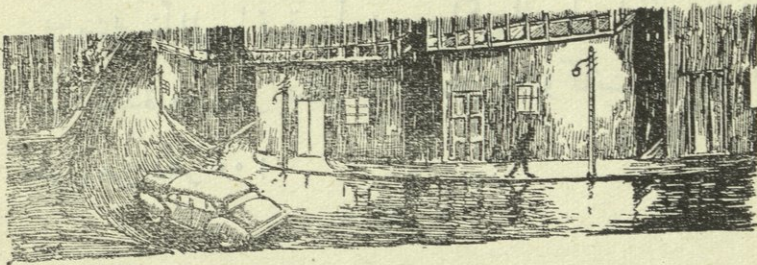
وطمست الصورة فى مخيلته وتلاشت معالمها من أمام
عينيه وراح يلعب ويشرب وهو صامت ، على غير عادته ، وقال
أحد الاصحاب :

- «أرى ان الدكتور يسري مهموم هذه الليلة • هل الرزق
كان ضئيلاً؟ ..»
وقال آخر :

- « لا أظن ذلك .. انه قد يكون ساكتاً لتركيز انتباهه
الى اللعبة ليضمن النتيجة مائة بالمائة .. ! »

وعلت القهقهة وارتفعت الكؤوس متقارعة ولكن الدكتور
كان تلك اللحظة في شغل شاغل • فقد خيل اليه مرة أخرى
ان جرس التلفون يرن وان جاره « السيد عبدالجليل » يستنجد
به .. وألقى نظرة على ساعته فاذا بها تشير الى الحادية عشرة •
لقد مرّ عليه هنا حوالي أربع ساعات • ماذا ترى حدث من
الامور في هذه الساعات الاربع ؟ ولماذا لا يبادر الى الطفل
على جناح السرعة ؟ وتجسّمت هذه الفكرة لديه ، وغادر القاعة
فجأة دون أن يخبر أحداً الى أين يقصد ..

كان البرد شديداً والشوارع مقفرة عندما راح « الدكتور



يسري « ينهب الارض بسيارته واذ قارب بيت « عبدالجليل »
وهم بالنزول من سيارته تقدم اليه خفير المحطة وقال له بعد أن
سلم عليه :

-«مسكين .. مات قبل لحظة .. الله يعينك يا عبدالجليل !»
أحسن « الدكتور يسري » كأن نصلاً حاداً أغمد في
صدره فمكث واجماً في مقعده ثم تطلع الى بيت « عبدالجليل »
قليلاً وهو في حيرة وارتباك ماذا عليه أن يفعل وقد قضي
الامر ؟ !

حرك سيارته ببطء منعطفاً بها الى الزقاق المفضي الى
بيته . وكان يسمع بوضوح الصراخ المنبعث من بيت
« عبدالجليل » .. انه كان عويلاً يفتت الاكباد !

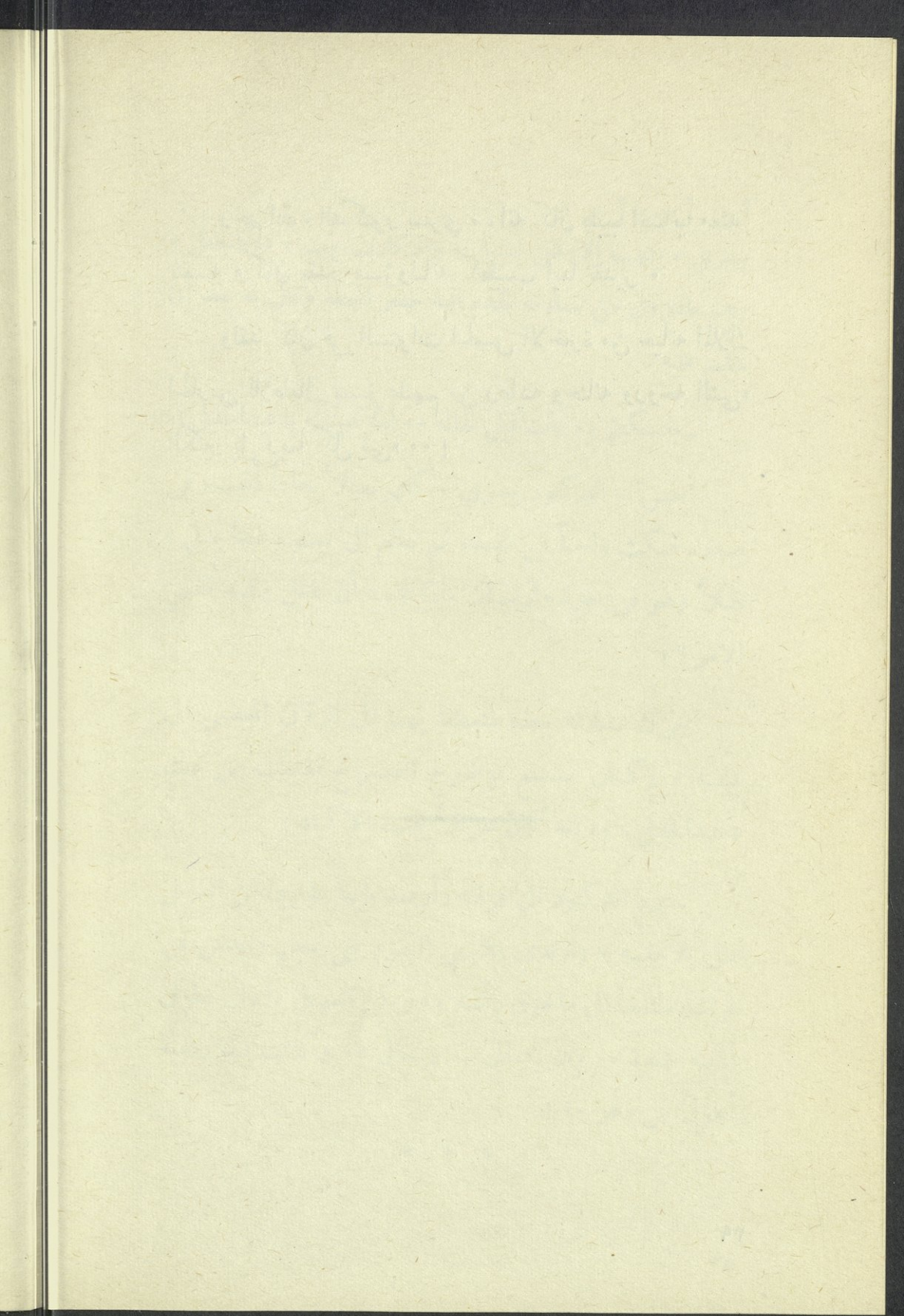
سارع الدكتور الى غرفته وأوصد بابها عليه ولكن العويل
ظل يلاحقه . وارتدى ملابس النوم على عجل واندس في
فراشه ملتجئاً الى ما فوق رأسه .. ولكن العويل ما زال يطرق
أذنيه بشدة .. وهو يتعالى .. ويتعالى .. وكانت ليلة رهيبة
أطول من دهر .. !

★ ★ ★

رحم الله « الدكتور يسري » ، انه كان طبيباً انسانياً معتداً
بنفسه وكان يقدر مسؤولياته كطبيب ايما تقدير .

ولقد كان في السنوات الخمس الاخيرة من حياته الملاك
الحارس للاطفال يسبغ عليهم من رعايته وحنانه وروحه الشىء
الكثير بل ربما كل شىء ٠٠ !





تذیبات مخب

فرغت من قراءة المقال • وفي هذه المرة لم ترم
المجلة بعنف ويأس شأنها كل يوم انما وضعتها بلطف قرب
وسادتها ثم مدت يدها تضغط على زر المصباح فساد الظلام •

وفي حلقة الغرفة كانت عيناها مفتوحتين يلتصع فيهما
بريق غريب • لم تستسلم الى سنة النوم لانها كانت تشعر
بحاجة ملحة الى الانتباه والتفكير • عجباً أيمن أن يكون
شقاؤها الملازم قد أشرف على النهاية فتشرق شمس الغد
ضاحكة وتقبل السعادة المفقودة لترتمي بين أحضانها •

انه مقال في « الحياة والحب والجمال » لا مثيل له فيما قرأته
قبل اليوم من تلك الفصول المطولة • انه قطعة من وجد ، فلذة
من قلب بل هو حياة مثلي مصغرة طالما حنّت اليها بعد نكبتها
قبل سنتين • ولكن هذا المقال لم يثر من اهتمامها قدر ما أثار
منه كاتب المقال • ذلك اللودعي القدير المتفنن ذو القلم

الساحر الذى استطاع ما لم يستطعه قبله كاتب من اهاجة
الجمرات الكامنة فى أعماق صدرها .

فمن هو هذا الكاتب ؟

المقال مذيّل بامضاء ولكن الامضاء لا يشير الى شخصية
حقيقية انما هو من تلك الامضاءات المستعارة المبتكرة : « سمير
النجوم » ومن هو هذا سمير النجوم ؟ وضغطت على زر المصباح
فتفجرت الانوار تغمر الظلمة وكانت المجلة فى يدها فجلست
متكئة على وسادتها وراحت تطالع المقال ثانية . وهى فى كل
فقرة من فقراته تستمهل النظر فتطلق لافكارها الجامحة
العنان . لم تعرف « م » كم مرة أعادت تلاوة المقال فى تلك
الليلة . ولم يكن ليهمها أن تعرف ذلك وعندما دقت الساعة
دقتين بعد منتصف الليل تذكرت انها آوت الى فراشها فى
منتصف الساعة الثامنة .

و « م » من هى ؟

هى تلك الزنبقة التى ما كاد ثغرها يفتقر فى الحديقة الغناء
فتمتص الندى وتشرب العصير وتستحم بأنوار الشمس حتى

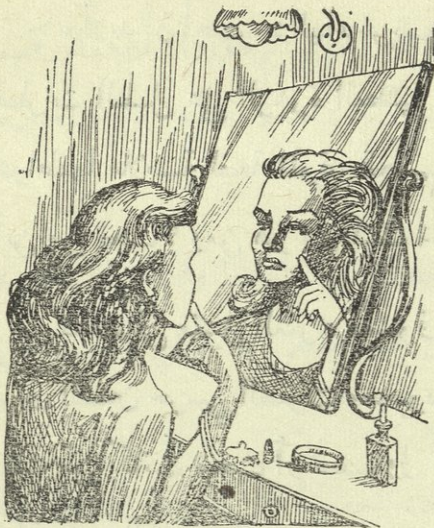
قطعت عنها الطبيعة مجاري المياه فراحت تشكو العطش وتحذر
الهلاك .

هى الزوجة الحسنة بالامس المترعة الكأس سعادة ،
الارملة البائسة اليوم الممتلئة الجوانح شعوراً غريباً .

يا للجمال الرائع تلامسه يد الاسى باصابعها النارية .
يا للقلب الفارغ بعد امتلاء تتسرب اليه الوحشة والحين بين
الذكريات الوامضة الجميلة الوادعة !

توفي زوج « م » ولما يمر على زواجهما أكثر من عام
فخلف شريكة حياته ولا سلوى لها سوى طفلة فى مهدها
وذكريات طيبة مشوبة بمرارة الفراق الابدي . من الذى
سيبادلها الحديث الحلو ؟ الابتسام ؟ القبلات والعناق ومن
سيشاطرها الحياة شهورها وسنيها ؟

أجبت وحيدتها شأن كل أم وأفرطت فى الحب ولكن
هذا الافراط ما كان ليخفف من مصابها بشريك حياتها .
ومرت الايام والاشهر وتصرم عام وبعضه و « م » تستهدف
سهام الحياة فتألم ذلك الالم الاخرس الذى يجيش فى نفس
جريح خاتنه قواه فما استطاع كلاماً حتى ولا أنيناً .



سل الوسادة عما
بللها من دمعها الغزير
في ظلمات الليل • سل
النجوم عما تصعد اليها
من حشرات على أجنحة
الرياح وسل المرأة
الصافية عما صوب اليها
من نظرات حزينة •

ومن خلال لآلىء الدموع كانت عيناها تنظران بخيلاء كبير
الى الجمال المضاع •

- اني ما زلت حسناء ... جاذبتي ما زالت ثائرة ...
وقلبي الفارغ ... هل سيظل هكذا .. ولماذا يظل هكذا ؟ ...

تجول هذه الفكر وأشباهاها في رأس « م » فلا تلبث أن
ترتمي على كرسي قريب وتجهش بالبكاء • فاذا ما دنت اليها
طفلتها تصيح « ماما » انقلبت من البكاء للضحك ومن الاجهاش
للقهقهة • وبقي شيء لم يتغير هو الالم الممض في قلبها
الوديع •

« أريد أن أحب » : الهام غريب هبط على نفس «م» هبوط.
قطرات الطل على الزهرة العطشى ولامس كل عاطفة من
عواطفها ملاسة لفحة الموقد للجسم البارد المصطلي • ولكن
أين من تحب ؟ ومن هو ؟ وكيف الحصول عليه ؟

شاب في مقتبل العمر ، مشوق القوام ، ضحك الوجه ،
براق العينين جرسى الصوت ، محبوب المعشر ، مثقف ، ذكي ،
ذلك من كانت تبحث أو تحاول أن تبحث عنه « م » ليملاً
فراغ قلبها الفتى •

ولكن أين تجده ومجتمعها من المساواة بحيث يراقب
منها الحركات والسكنات ويحصى عليها حتى أنفاسها •
طريقها طويلة شائكة فهل تسير وهي حافية القدمين أم تنكص
على الاعقاب ؟

« أريد أن أحب » كانت وحياً هابطاً ما ان له مرد •

بعد تفكير أيام بلياليها وصلت الى ان في امكانها أن تحب
أحد كواكب السما وكواكب السما كثيرون تتمتع بجمالهم
وأصواتهم في السما الناطق كل أسبوع فما عليها الا أن تحب
أحدهم مثال روبرت مونتكومري أو كلارك كيبل أو موريس

شفاليه أو جاك بوكانان أو رامون نوفارو أو أى كوكب
سواهم فتقبل على اقتناء صورته ومشاهدة أفلامه وقراءة أخباره
وتتبع كل أثر من آثاره .

وهى فكرة جميلة تخفف من لواعجها ولكنها لا تطفىء
أوار قلبها . انها بحاجة الى حب حقيقي لا خيالي فلتبحث عن
أمنيتها فى غير هذه السبيل .

لماذا لا تطالع الروايات العصرية التى ما زال أشخاصها
أحياء يرزقون فاذا ما تملك اعجابها بطل فلتبحث عنه عساها
تتوصل الى معرفته والانتصار عليه فتفوز به وعلى رأسها اكيل
كيويد والى جانبها عشيقها العزيز المغلوب .

فكرة جميلة جداً حاولت ان تخرجها الى حيز الوجود
فقرأت أكثر من خمسين رواية فلم تظفر بمطمح أنظارها
وأفكارها فأشاحت بوجهها حزينة ولهى .

وكومضة البرق الخاطف تحت جناح الظلام خطر لها
خاطر أنست اليه ورأت فيه مخرجاً لها من هذه الحالة الاليمة
هو أن تبحث عن « تريد أن تحب » فى الجرائد والمجلات -
المحلية منها بوجه خاص - ففى هذه الصحف يكتب العشرات

من الكتاب والقصصين والشعراء فما عليها الا أن تطالعها
بانتظام حتى تعثر على ضالتها المنشودة •

مقالات ، قصائد - من الشعر المنظوم والمنثور - كلمات
مأثورة لا يحصى لها عدد • هذا سياسي ، ذاك أديب ، الآخر
عالم ، الا انهم كثيرون كثيرون جداً ولكنهم على رغم كثرتهم
لم يثر واحد منهم كامناً في نفس «م» فكانت تطالع ما ينشرونه
ثم لا تلبث أن ترمي الصحيفة جانباً تملكها شعور هو أقرب
الى النفور منه الى سواء •

حتى كانت تلك الليلة السعيدة التي وقع نظرها فيها على
مقال « سمر النجوم » في الحياة والحب والجمال فتتنفست
الصعداء وبرقت أسارير وجهها وخفق قلبها خفقة غريبة لم
تستطع «م» تأويلها الا بأنها عثرت على من تريد أن تحب •

والمجلة التي نشرت مقال سمر النجوم أسبوعية كانت
«م» تشتريها صباح كل أحد من بائع الجرائد المجاور لدارها
أما اليوم فقد كتبت الى ادارة المجلة ترحو أن تعدها مشتركة
في ثلاث نسخ أرسلت بدلات الاشتراك السنوي عنها
سلفاً •

وكان نهار الاحد التالي فصدرت المجلة ويالحزن « م »
فهى بعد انتظار أسبوع كامل كان أطول من عام لم تقرأ
شيئاً لـ « سمير النجوم » ويا لوحشة القلب !

« أريد أن أحب » وحي أخذ يتجسم أثره فى نفس « م »
يوماً فيوماً ، باعثاً الامل فى أعماقها . وفى الاسبوع الرابع
قرأت ودموع الفرح تترقق فى أجفانها مقالاً ثانياً لسمير
النجوم عنوانه « السعادة ، الزواج والمال » فكان له وقع عميق
فى نفس « م » فأعادت قراءته ثانية وثالثة ورابعة حتى أوشكت
أن تحفظه عن ظهر قلب .

وفى الاسبوع التالي نشر « سمير النجوم » قصيدة فى ٢١
بيتاً بعنوان « قلبي » كل بيت من أبياتها يسيل رقة وجمالاً
فكررتها « م » حتى حفظتها كلها وراحت تتغنى بها صباح
مساء .

وظلت « م » تتعقب آثار « سمير النجوم » عشيقها ، مثلها
الاعلى ، معبودها فتلتهمها التهاماً ولا تقرأ سواها وفى أحد
الايام فكرت ملياً فى الامر ورأت ان عليها أن تأتى عملاً
حاسماً فى هذا الشأن فتقول لسمير النجوم وجهاً لوجه « اني
أحبك ، أحبك أيها الكاتب القدير . . أحبك أيها الفتى الجميل . . »

فكيف تصل الى ذلك ؟ وأجهدت فكرها واذا بوحى من
حبها يلهمها أن تدعو سمير النجوم برسالة تبعثها اليه بواسطة
المجلة لتناول الشاي عندها فى مساء الثلاثاء القادم . ما أبدعها
فكرة مصيبة سهلة التنفيذ .

وفى هدوء الليل جلست الى مكتبها تجبر الدعوة الى
سمير النجوم وكان القلم يرتجف بين أناملها فتكتب وتشطب
وتمزق ثم تكتب وتشطب وتمزق ثم تعود فتكتب وتشطب
وتمزق ...

هذه كلمة خشنة .. هذه جملة مفككة .. هذا تعبير
غير صحيح .. أخيراً استقرت على أن تكون الدعوة كما يلي :
« أنا احدى المعجبات بكتاباتك الفياضة بالروح أشرف
بدعوتك لتناول الشاي فى داري الواقعة .. فى الساعة
الخامسة زوالية من عصر الثلاثاء القادم . أهلاً بك منذ
الآن »

قرأتها ثانية وثالثة فأعجبته عند ذلك وضعتها فى غلاف
معطر وكتبت عليه :

الى الكاتب المحترم سمير النجوم - بواسطة مجلة ...

الغراء

وحين استلقت على فراشها أرادت أن تقرأ الرسالة للمرة
الاخيرة قبل أن تلتحف فتناولتها وتلتها بصوت عال كأنها
تريد أن تتحسس موسيقى نبراتها فصدمتها منها الجملة الاولى
« أنا احدى المعجبات » لا .. لا .. لا .. يجب أن تكون
هكذا « أنا معجبة الخ .. » لماذا أتحدث اليه عن اعجاب الغير ؟
ونهضت الى مكتبها تعيد تبيض الرسالة وبعد هنيهة
كانت على أجنحة الاحلام الجميلة .

★ ★ ★

بعد ثلاث ساعات يأزف الموعد . كل شيء منظم بذوق
سليم . الاواني ، الطنافس ، الوسائد ، الصور ، فى وسط
الغرفة رسم لها كبير يريك ثديها الايمن تغطيه ملاءة حريرية
شفافة ، مجموعات الرسوم الفنية ، الراديوغرامافون ، السجائر ،
العطور . ما أعظمه يوماً فى التاريخ .

لم يبق سوى ساعتين

لم يبق سوى ساعة ونصف

ساعة واحدة فقط .. ثلاثة أرباع الساعة .. نصف

ساعة .. ربع ساعة .

ما لقلبها يدق سريعاً سريعاً؟ ما لها لا تستطيع الثبات
على المقعد؟ انها تروح وتغدو كأن في صدرها ناراً تحركها .

بقي عشر دقائق .. تسع .. سبع .. خمس ..
وأحسَّت بقلبها كأنه يريد أن يتحرك من مقره وبصدرها
يعلو ويهبط .. وبأفكارها وأنظارها زائفة لا تستقر على
قرار .

تن .. تن .. تن .. تن .. تن

دقت الساعة الخامسة فطرق الباب على الاثر فهرولت
تستقبل سعادتها المنتظرة . فتحته قليلاً وهي تقول بصوت
عذب متقطع :

- تفضل

فدخل سفير النجوم يتوكأ على عصاه .. كان شيخاً
تجاوز الستين ، محدودب الظهر ، غائر العينين ..

- مساء الخير سيدتي

- تفضل .. !

وأومأت اليه بأن يدخل غرفة الاستقبال وركضت الى
غرفتها فارتمت على فراشها تبكي بكاء الاطفال !

بِقَوْلِهِ الْفَرَجِ

«ياقوتة الفرات» ... انه لاسم جميل، أليس كذلك؟
ولماذا لا يكون جميلاً غاية الجمال ، موسيقي الجرس ، سحري
الوقع ؟ لماذا لا يكون كل ذلك وأكثر من ذلك لدي أنا على
الاقبل ؟

سأظل أذكر « ياقوتة الفرات » وسأظل أحنّ الى
مشاهدتها ، الى تسريح النظر في جمالها وقسماتها وألوانها
وعينيها ، عينيها الواسعتين . انها الصورة الحية التي ستظل
تمثل أمامي كلما خلوت قليلاً الى نفسي .

واليوم ، اذ يجذب صحو النهار ولذعة البرد الخفيفة
الملطفة بأشعة شمس الشتاء اعداداً كبيرة من الناس الى ساحة
السباق ، أراني مدفوعاً باحساس غريب الى ارتياد الساحة ،
لا لأراهن كما فعلت في يوم مثل هذا اليوم من العام الماضي ،
انما لأبحث هناك عن «ياقوتة الفرات» عساي أظفر منها بنظرة
عابرة !

أصبحت الايام الجميلة تبعث فى نفسي نشوة غريبة هي
الى الانقباض أقرب منها الى أي احساس آخر ، لانها تذكريني
بذلك اليوم الجميل الذي خلق مني ومن « ياقوتة الفرات »
بطلين لقصة قد تكون ممتعة بنظر عدد من الناس !

حدث ذلك فى يوم كهذا اليوم الجميل من العام الماضي
اذ اصطحبني صديقي « ن » الى ميدان السباق حيث اعتاد
المراهنة وحيث اعتدت قضاء فترة من الوقت للاستجمام من
عناء أسبوع راتب والاستمتاع بمشاهد السباق المثيرة .

أفواج من الناس لا تحصى ، فيهم الرفيع والوضع ،
الغني والفقير ، سيدات وأوانس ، أجانب ومواطنون ، قرويون
من الارياف ومدنيون من قلب العاصمة ، قبعات وسداير ،
« چراويات » و « عگل » .. انه لمجمع المتناقضات بل بحرها
المتلاطم !

كم كان يعجبني أن أتطلع الى هذا الخلق ، وكم كنت
أسخر فى نفسي من هذا الاندفاع الغريب الى احراز المجهول
من المال عن طريق هو ، على قصره ، شائك خطر .
ها هي الامواج البشرية أخذت تتدافع لترطم بشبايك
بيع بطاقات المراهنة :

- اعطني رقم ٧ « ون » و « يليس » •

- الاربعة ٣ « ون » •••

- الثمانية « ونين » •••

- السبعة ٧ « ونون » •••

أصوات تحكي الهمس ولكنها سريعة ، وأيد تمتد لتسلم
بطاقات الحظ يكمن تحت سنابك الحيل •

وهناك المشهد الرائع الأخاذ اذ تظهر الحيل تتبختر في
حلقة العرض قبل بدء الشوط ومن ثم تأخذ مسيرها خبيأ الى
الميدان ، يعلوها فرسان خفاف بحلل هي قوس قزح في أزهى
ألوانه •

كم كان يعجبني أن أتطلع الى الجماهير الغفيرة تتجه
زرافات ووحداً صوب السياج لتراقب انطلاق الحيل • هاقد
بدأ الشوط فاشترأبت الاعناق وتطلعت الابصار ، مجردة ، أو



من خلال النواظير • وكما قاربت الحيل نهاية الشوط تعالت
فى الجوضيحات المتفرجين لا سيما المراهنين منهم ••
« عبله ••• هلال ••• عيوني ستوري ••• وينك مهيدى ••• »
صراخ وصيحات متداخلة متدافعة تتعالى من كل مكان ،
سدائر وكوفيات يرمى بها الى أعالي الفضاء تحمساً واندفاعاً •••
وتبلغ الحيل خط النهاية ويتضح المجلي منها فالمصلي فالمسلي
وتخفت الاصوات بسرعة وتشخص الانظار مترقبة مقسوم
الريح ! تتكرر هذه المشاهد ، وأنا أطلع الى صورها بشوق
ولهفة ، وأسأل أحياناً : ترى ماذا يحرك هذه الجموع على
هذا الشكل ؟

وفى فترة الشوط الاخير قلت فى نفسى لماذا لا أجرب
هذا الاحساس بالذات ، احساس هؤلاء المراهنين اذ يترقبون
ما يأتىهم به الطالع من عالم الغيب ، لماذا لا أراهن مرة فى
الحياة لأختبر ذلك بنفسى ؟ لا شك فى ان صديقي « نون »
سيسرّ بذلك لانه كثيراً ما طلب اليّ أن أراهن على بعض
الحيل الموفقة •

- العب رقم ٣ -

همس ذلك فى أذني وراح يقطع بطاقاته أما أنا فلم
يرقني هذا الرقم .

قلت فى نفسي لماذا أربط حظي بحظوظ الآخرين ؟
لأراهن على الرقم ٩ لان هذا الرقم محبب الي . ولا يهمني
بعد هذا أكان الآخرون يشاركونني اللعب أم لا ؟ وعسى أن
ينفل الكل هذا الرقم ، اذن فالنتيجة ستكون باهرة ... وربما
هائلة ...

وتطلعت الى منهاج السباق لأقرأ اسم الفرس ذات
الرقم ٩ فاذا به « ياقوتة الفرات » ... يا للغرابة ، انها « ياقوتة »
ومن « الفرات » حيث فتحت عيني للوجود وحيث نعمت
بأجل الايام .. يا للمصادفة الغريبة .. لا شك فى ان القدر
يخبىء لي هذا اليوم شيئاً من مفاجاته .

وقصدت حلقة العرض ، وبحثت عن « ياقوتة الفرات »
لأراها رأي العين ، فاذا بها فرس شقراء يزين جبهتها
كوكب أبيض ، جميلة الشكل ، خفيفة الحركة . دنوت
أتطلع فاذا بـ « ياقوتة الفرات » تدير عنقها الجميل نحوي
وتتطلع بعينيها الواسعتين الي ... يا لله .. ما هذا ؟ انها تنظر
الي ... انها تقول لي هيا راهن بما لديك ..

وهرولت ، ولربما ركضت ، انني لا أتذكر ذلك
بالضبط الى شباك البطاقات واشتريت بطاقة « ون » بخمسة
دنانير كانت كل ما أسعفني به الجيب . وعدت ادراجي
أتطلع الى لوحة تسجيل البطاقات المبيعة فاذا بأرقام « ياقوتة
الفرات » لا تتجاوز بضع عشرات وكم كنت أتمنى ألا يرتفع
عدد بطاقات « ياقوتة الفرات » رغم ضآلته ، بل كنت أشعر
ان أية بطاقة أخرى تباع على الرقم ٩ انما تكون بمثابة استلاب
مبلغ من نقودي أنا بالذات .

وسارت مراسيم الشوط سيرها المعهود ووجدتني في
وسط الممعة ، شعرت بفوران غريب في دمائي وأحسست
وكأن قلبي ضاعف دقاته ... وعلى غير ارادة مني كنت
أصيح : « ياقوتة .. ياقوتة .. » ولكن صوتي ضاع بين ألوف
الاصوات كشهقة في ساحة معركة فاصلة !

ثم خفتت الاصوات وهدأ الزلزال كعاداته ... فاذا
بالمجلي الرابع هو غير « ياقوتة الفرات » ! وجمت مع من
وجم من ألوف اللاعين وأطرقت مهموماً .

لا أتذكر كم بقيت هكذا حتى طرق سمعي رنين جرس

أعاد اليّ انتباهي ، قلت ما هذا ؟ مع علمي انه جرس الاعتراض
فأجاني شخص كان بجانبني « أوبجكشن على الفائز الاول »

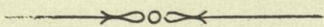
تهلل وجهي وعادت الدماء تسري في عروقي حارة
ورحت أترقب بفارغ الصبر نتيجة الاعتراض على المجلي وقرار
المحكمين ... يا لله لقد صدق ظني وحقق القدر ما توقعت ،
فقد قرر المحكمون ان « ياقوتة الفرات » هي الفائزة الاولى ..

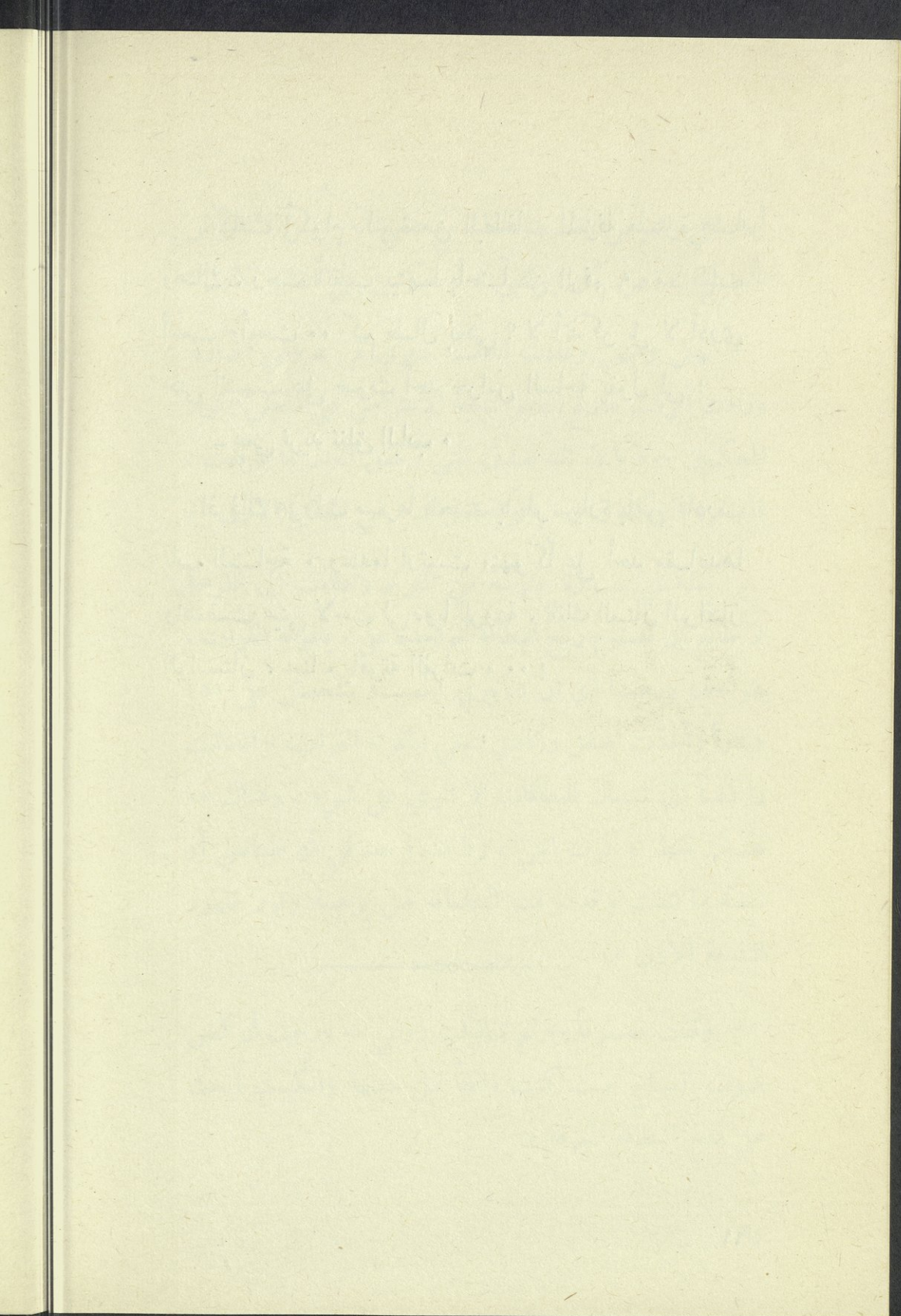
تملكتني سورة جنونية من الفرح وتطلعت الى اللوحة
لأطالع ان مقسوم ربح البطاقة الواحدة على « ياقوتة الفرات »
هو ٤٥٠ درهماً أي ان دنائيري الخمسة ستحصل على ٤٥٠
ديناراً وأخذت أصفق وأنادي لتحي «ياقوتة الفرات» . انطلقت
راكضاً الى شباك البطاقات لا ألوي على شيء ، وهناك ..
هناك فقط تذكرت انني ، ويا لسوء تصرفي أو طالعي أو
سمه ما شئت ، قد مزقت البطاقة قبل برهة وفور ظهور
النتيجة الاولى ..

وقفت مصعوقاً .. ثم تمالكت روعي .. ورحت أركض
صوب السياج حيث كنت واقفاً قبل هنيهة وانكبت أبحث
عن قطع البطاقة الممزقة .

كانت أكوام كثيرة من البطاقات الممزقة مبعثرة هنا
وهناك ، رحت أنقب بينها باحثاً عن الرقم ٩ ٠٠٠ ظلت
أبحث وأبحث ٠٠ كم طال بحثي ؟ لا أتذكر بل لا أدري
حتى انتهت على صوت أحد حراس الساحة يقول لي :
- عمي نريد نغلق الباب •

اذ ذاك هرولت مسرعاً فلحقت بآخر سيارة باص غادرت
باب الساحة • وعندما ارتميت منهوكةً على أحد مقاعدها
وأغمضت عيني لاحت لي ، ويا للروعة ، تانك العينان الברاقتان
الواسعتان ، عينا « ياقوتة الفرات » ٠٠ !





الرقصة المنتصرة

قلما استعصى خلاف بينهما ، فوديع زوج ينظر الى الحياة
نظرة فلسفية خاصة ، وهو يرى ان ليس فى الوجود ما يستحق
أن يفرق بين زوجين قطعا من عقدهما الخامس نصفه أو كادا .
قد تخطيء الزوجة وقد يغلو الزوج ، قد تبدو الزوجة حمقاء
فى عمل ما وقد يبدو الزوج صلفاً فى الرد على مثل هذا العمل ،
قد يفرق بينهما صباح أو مساء ، نهار أو ليل ، لسبب مهم أو
غير مهم ولكن وديعاً يرى ان كل هذه أمور هي من التفاهة
بحيث يجب أن تتكسر على صخرة الحياة الزوجية .

وهكذا مرت السنوات تباعاً : خلاف ووافق ، كدر
وصفاء ، صخب وهدوء . وهما بعد كل هذا وذاك زوجان
راضيان عما توفر لهما من أسباب الحياة .

غير ان مشكلة واحدة لم يحلا عقدها بسهولة بالرغم
من مرور سنة وبعض السنة على اثارها للمرة الاولى وهما
منها حيث كانا : كل متمسك برأيه لا يتنازل عنه .

وفى مساء أحد الايام عاد وديع الى بيته وعلى عادته كانت
 أول كلمة قابل بها زوجته : « مساؤك جميل يا عزيزتي »
 فأجابته بصوت خافت « مساؤك جميل » وأسرت الى غرفة
 النوم .

علم انها كانت تبكي لمدة قد تكون طويلة لانه رأى
 الدمع يترقق فى عينيها عندما ردت عليه بالتحية وهى تشيح



بوجهها عنه . ولا
 شك فى انها الآن
 مرتمة على سريرها
 تذرف ما تبقى فى
 محجريهما من
 دموع اذ ذاك
 أحس الزوج بألم
 عميق وبخيرة

موجة . ماذا يعمل ؟ أقدر لهما ان يستمرا على هذه الحال
 النكدة لخلاف هو بحد ذاته تافه لا يستوجب مثل هذه
 التضحية بالصفاء العائلي . أكونها « تريد أن ترقص » ولكونه
 « لا يريد أن يرقص » تنهمر هذه الدموع الغالية من عيني من

أحب وعاشر وشارك كل هذه السنين .. يا له من رجل غنود
بل يا له من زوج مغفل يترك سفينة حياته العائلية نهب
العواصف والاعاصير وهو بامكانه ، بلحظة واحدة ، أن يدير
دفتها الى شاطئ من السلامة أمين .

واستعرضت مخيلته ما تقضى من حياة حافلة بشتى
الالوان نسجت خيوطها أيديهما . تذكر أويقات الصفاء
وسويغات الغرام ، تذكر الابتسامات والقبل والعطف
والحنان وقال لنفسه : « ويك ؟ أتضحى بكل هذا .. أتضحى
بالماضي وتضحى بالحاضر لانك لا تريد أن ترقص ... ؟ »
لا شك فى انها الآن قد بللت وسادتها بالدموع الساخنة ،
يا للآليء الغالية تتساقط هدرأ .. فليسارع اليها وليكفكف
هذه الدموع ويتنازل ولو قليلاً عن عناده عسى أن يحل التفاهم
ويسود السلام .

وبعد لحظة كان الاثنان يتناقشان فى موضوع الخلاف
بنية إيجاد حل سريع . فحفلة « البالو » الكبرى موعدها غداً .
والعائلات القريبة والصديقة ستحضرها وهما كذلك
سيحضرانها . أمن المعقول أن تكون هى دون اترابها ، هى دون

سائر الاوانس والسيدات - وحتى العجائز - رهينة كرسياها ،
لا ترقص بينما الكل يرقصون ؟

- قلت لك يا وديع انني أريد أن أتمتع بالحياة لان مثل
هذا التمتع حق من حقوقى . لماذا تعلمنا الرقص سوياً قبل
ستين؟ لأجل أن نرقص مرة واحدة فقط ثم ننزوي فى بيتنا ؟
لا .. لا يا وديع انني ما زلت شابة على رغم هذه الشمرات
البیض التى جلبتها لي خدمتك والسهر على راحتك وراحة
بنيك ؛ أجل انني قد جاوزت الاربعين وهذا لا يعنى انني
يجب أن أقبع فى بيتي كما ينكمش القنفذ على نفسه .
آه ليتك قرأت ما كتبه أحد علماء الاجتماع عن رأيه فى أن
المرأة تبدأ حياتها الحقيقية فى الاربعين . انني أريد أن أحيأ ..
واتمتع .. واسعد

- هذا حقك الذى لا جدال فيه . وأنا عندما لا أبدي
الرغبة فى الرقص لا أحاول اضطهادك أو غمط حقوقك
أو فرض أرادتي عليك . كل له حقوقه . من حقك أن
تنشدي السعادة فى الرقص ومن حقي أن أنشد الراحة فى
عدم الرقص . أنظري الى الرقص نظرتك الى أطيب أمانى

الحياة ودعيني يا عزيزتي أنظر اليه نظرتي الى الالعب
الصبيانية التي لا طائل تحتها •

- أليست أقوالك هذه وليدة الرجعية • • ؟
رجعية • • ؟ أتحييني رجياً عندما لا أريد أن أرقص ؟
قد يكون لك بعض العذر في ذلك ، ولكن ماذا تقولين
عني اذا سمحت لك أن تراقصي في حفلة الغد أياً كان من
معارفنا • • أأكون رجياً • • ؟

كان الزوج يتكلم بنبرة هادئة تمثل فيها الرزانة والجد
فانبسط أسارير الزوجة بعد انكماش وقالت بشيء من
الاستحياء والاعتذار :

- أشكرك •

وعلى هذا رقد الزوجان ناعمي البال رقاداً لم ينمما
بمثله منذ أمد بعيد •

★ ★ ★

وكان موعد الحفلة المنتظرة ، واكتظت ردهة الرقص
بالراقصين والراقصات • جلس المدعوون والمدعوات حلقات ،
حلقات ، يسودها جو من المرح والأنس الا حلقة واحدة

كان يشوبها شيء من القلق تلك هي المائدة التي جلس حولها
وديع وزوجته وبعض معارفهما من الجنسين .

لقد حاولت أن تكون على أجمل مظهر مستطاع فقضت
قراءة ساعتين أمام مرآتها تتزين وتزين وتزين . لا شك
في انها الآن بين هذا الجمع الفقير من أرشق السيدات ،
واكثرهن جاذبية . . أجل لا شك عندها في ذلك .

وكان جو الحفلة معطّاراً فالى جانب أزهار الحديقة
كانت تعبق عطور « الريفدور » و « الشيرامي » و « السوار
دي باري » من كل مكان فتمازج لتكوّن هبات من النسائم
الساحرة . وكانت كؤوس الخمر تتقارع بين أذخنة التبغ
الشفافة لتزفها الأيدي الى الشفاه المتعطشة . ثم ما هي الا
لحظات حتى راحت الموسيقى تعزف انغامها للراقصين
والراقصات . . .

انقضت ساعة من العمر وانتهى معها عدد من جولات
الرقص والزوجة تتطلع الى زوجها تارة والى ساحة الرقص
أخرى . ولكنها لم يكن باستطاعتها الاعتراض او الشكوى ،
كانت ترى الخصور الرشيقة تنساب الى اليمين لتستدير نحو

اليسار او تنساب الى اليسار لتستدير نحو اليمين أو تندفع الى
الامام لترتد الى الوراء كل ذلك فى حركات مكهربة
تلامس القلوب بأصابع خفيفة ، كانت ترى الراقصين وقد
أشرق على وجوههم الانسراح والراقصات وقد تلاًلأت
على ثغورهن الغبطة ، هذا يضاحك تلك وهذه تحدث ذلك
حديثاً هو الى الهمس أقرب منه الى الكلام . كانت ترى
الحياة كلها ترقص أمامها على نغمات مثيرة ساحرة ..
الاها .. انها مسمرة الى كرسيها . انها كتلة بشرية مهملة
لا يتقدم أحد ليراقصها .

واستمرت الحفلة فياضة ، مشرقة ، صاخبة . واستمر
الجميع يرقصون شتى الرقصات من « تانجو » ناعس مثير الى
« فالز » لاهب سريع الى « رومبا » و « كونجا » صاخبتين
مدغدغتين . الى .. الى .. كانت الدنيا ترقص حوالها حتى
الكراسي والموائد والكؤوس كانت تتمثلها ترقص كذلك
الاهـا والا كرسيها ومائدتها وزوجها فقد ظلت وظلوا فى
جمود مميت .

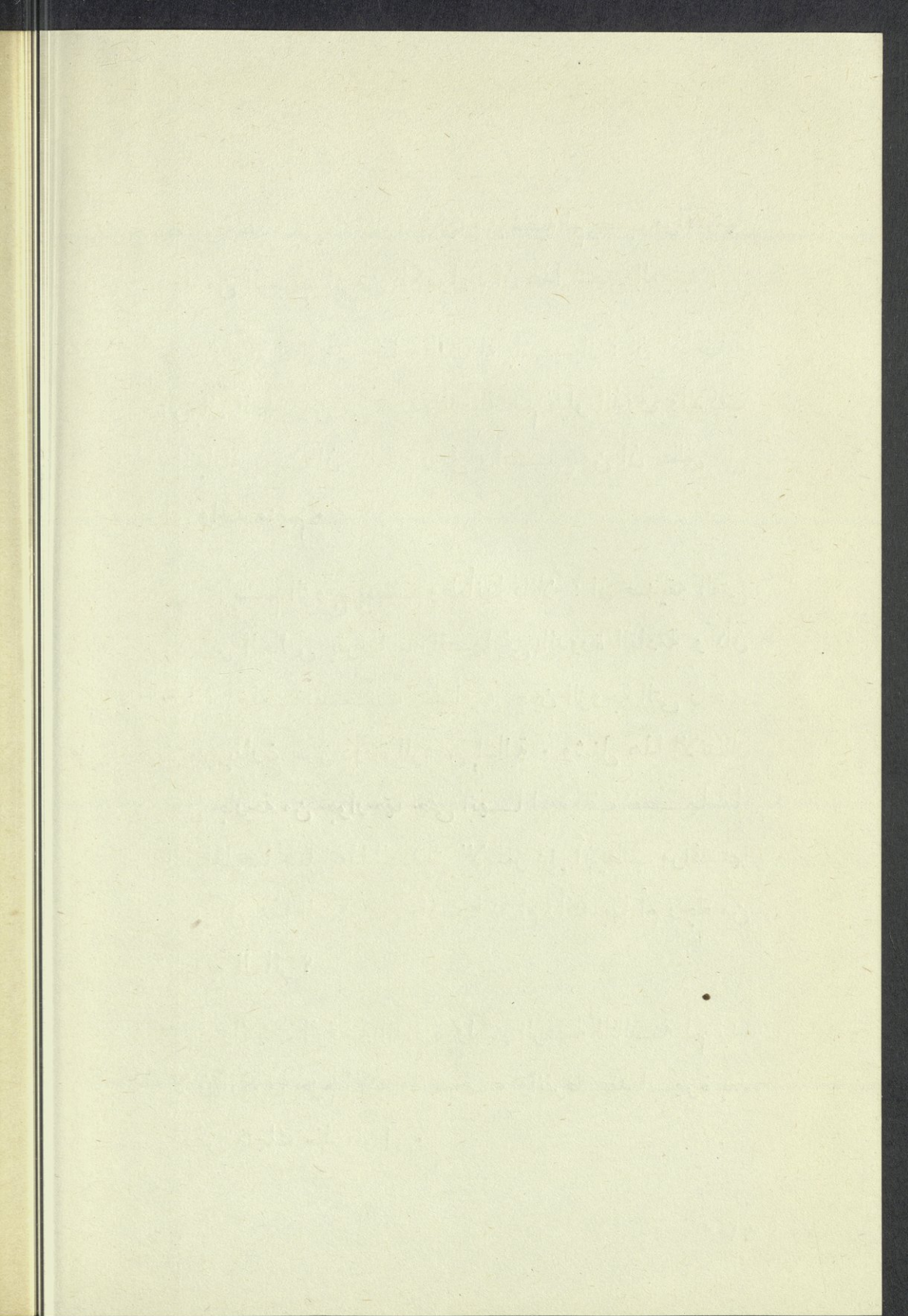
واذا بحسرة تخرج من فيها طويلة تصاعدت معها آمالها

المسولة هباءً في الفضاء • يا لها من شقية لم يطلب مراقبتها
أحد من الشباب أو من الكهول ، ان هذا لمتهى العجب !

وتطلعت الى زوجها وقالت له باشمئزاز : ان أصحابه
الرجال الحاضرين فى هذه الحفلة هم قليلو الذوق والادب
والمجاملة بحيث ان كلمة « رجل » اسى من أن تطلق على
أى واحد منهم •

فابتسم الزوج بعطف وطمأنها قائلاً : ان صديقه الفتى
الاسمر الجالس بقربها سيراقصها فى الدورة القادمة وكان
غمامة أخذت تنقشع شيئاً فشيئاً عن جبين الزوجة التى راحت
تنتظر بفارغ صبر دورة الرقص التالية • وشغل هذا الانتظار
كل جارحة من جوارحها حتى انها لم تكلف نفسها غناء
التساؤل عما حمل هذا الصديق الاسمر على أن يطلب مراقبتها
بعد كل هذا السكوت أجازيبتها له أم رأفته بها أم رجاء من
الزوج الحائر ؟

وانتهت الرقصة الدائرة ولكن الرقصة التالية لم تبدأ
لأن الجوق حزم آلاته وانصرف • وانفرط عقد السهرة بعد
رقص منهك ملذ طويل •



ایہ فنی

تمر بحياة المرء مشاهد لآناس كثيرين ، تطوي
الايام منها ما تطوي ، وتعي الذاكرة منها ما تعي • وليست
الاحاديث المثيرة كلها تتناول أشخاصاً ذوي شأن ، فرب قصة
لها قيمتها بين القصص المروية لا يعدو بطلها أن يكون شخصاً
من هؤلاء الاشخاص الذين اعتدنا أن نشاهدهم كل يوم فلا
يستأثرون من اهتمامنا لا بالكثير ولا بالقليل •

و « أبو فتحي » - وليس مهماً أن أذكر لك اسمه بالذات -
هو من هاتيك الشخصيات العابرة التي مرت على هامش
حياتي • ولو لم تكن لقصته مع ولده « فتحي » ذلك الاثر
الذي يعاود ذاكرتي بين حين وآخر لما رأيتني الآن أحاول
تسجيل هذه القصة بكل أمانة ... وكما اطلعت عليها دون
تنميق ولا تعليق •

كان يحب ولده ووحيدده « فتحي » حباً جماً • وكان جلّ

مطمحه في الحياة أن يراه رجلاً متزوجاً ، موفور الصحة والمال
والبنين .

- « البنون يا « أم فتحي » زينة الدنيا فعندما يتزوج ولدنا
ويرزقه الله ابنه البكر فسيسميه حتماً باسم والدي [عبد المنعم ..] »
فتجيبه زوجته :

- « حقق الله أملك وأطال عمرك لترى ذلك اليوم
السعيد .. »

كانا زوجين طيبين القلب ، قنوعين بما رزقهما الله ، يعيشان
في حاضر هاديء ناعم ويحلمان بمستقبل أهدأ وأنعم .
وكلما خطا الابن « فتحي » سنة من عمره زاد الأب تنعماً
بما لديه وتحمساً لقرب موعد السعادة المنتظرة !
وظل الجو صافياً ، لا ضباب ولا غبار ...

وحدث ذات يوم أن أوفد « فتحي » الى احدى عواصم
الغرب لا كمال دراسته العالية وقبل انتهائه من الدراسة وافت
أخبار الى أبويه تنبيء بأنه اعتزم الزواج من فتاة أجنبية تعرّف
اليها في محيطه الجامعي ، فثارت ثورة الأب ، وحنق ، وطير
لولده جواباً بالنفي قاطعاً .

ومرّت فترة قصيرة واذا بالاخبار تفيد هذه المرة ان
الابن قد تزوج من صاحبه . فكانت رجّة ما مثلها رجّة ،
وكانت أزمة نفسية أخذت بخناق الأب !

ومن هنا بدأ القدر يخطّ صفحة جديدة في حياة الزوجين .
ومن هنا أخذ تباين الافكار والنظرات يظهر بين « أبي
فتحي » و « أم فتحي » فبينما أصبح الأب حاتقاً ، غاضباً لفعلة
ولده كانت الأم تلازم هدوءها وهي تحاول أن تجد لابنها
عذراً علّها بذلك تهديء من روع زوجها .

- « عبث .. قلت لك عبث ما تحاولين . انه حطم
قلبي ... أضاع أمني .. مزّق سمادتي .. أيتزوج من
أجنبية ؟ وبدون رضاي .. ؟ يا له من ابن عاق .. سأموت
ولن يسمع صوتي .. أو يرى وجهي ثانية لاني لا أريد ...
ولن أريد رؤيته .. لا أطيق رؤيته .. لا أطيق ... »

ويأخذ صوت « أبي فتحي » بالارتفاع ويتهدّج تأثراً
فترتاع زوجته وتحاول تهدّثه :

- « هل هو الابن الوحيد الذي قام بمثل هذا العمل ... ؟
أما كنت تقول ان الابن اذا أكمل الثامنة عشرة فقد أصبح

ولي نفسه وحاكم أمره ... وماذا ترى سيتيج عن فعلته اذا
أصررت على تسميتها « فعلة » ؟ ..

- « لست بحاجة الى مواعظك السقيمة ... قلت
لك انه خيب أمني وكفى ... لا أريد نقاشاً ...
سيحيا هو وستحين أنت وستشاهدان كلاهما نتائج هذه
الفعلة ... وستعرفان ولكن بعد فوات الوقت بان الشرق شرق
والغرب غرب ... أما أنا فساموت .. ساموت وفي قلبي
حسرة .. » ويخفت صوت « أبي فتحي » وتتأقل نبراته فتطرق
زوجته حيرى والدمع يترقرق في عينيها !

ظل الزوجان على هذه الحال من القلق والالام ، هذا
يتأفف ويتحرق ، وهذه تؤاسي وتتأسى ، حتى بلغ اضطرابهما
الذروة يوم طلبت « أم فتحي » من زوجها أن يصحبها لاستقبال
ابنهما « فتحي » الذي سيصل وزوجته المطار ظهراً ...

- « ماذا عليك لو حضرت .. ولو من بعيد .. »

- « لن يكون ذلك ... لن يكون ذلك .. فان ألححت
علي أكثر من هذا فاني ، قسماً بالله ، سأمنعك أنت عن
الذهاب ! »

فلاذت أم « فتحي » بالسكوت وراحت تشاغل نفسها
ريشما يحين وقت مغادرتها البيت الى المطار .

وقيل موعد وصول الطائرة قصدت الام الى المطار صعبة
بعض الاهل ، وعند مغادرتها الدار لحق بها الزوج الى العتبة
ليقول لها :

- « اياك أن تتأخري في العودة ... دقيقة واحدة تكفي
وزيادة لمواجهة ابنك المطيع ... النبل ... الشهم ... »

توارت الام وظل « أبو فتحي » نهب الاحاسيس المتأججة .
استعرض تاريخ مأساته الدامية هذه ، تذكر « فتحي » طفلاً
ويافعاً ، تذكره مريضاً ومعافى . تذكر حلمه الجميل بفتحي ...
سيكبر ولده وسيتعلم ... سيحصل على أعلى مراتب العلم ...
سيكبر « فتحي » ويتزوج وسيرزقه الله بنين هم زينة الدنيا ...
ولسوف يسمي بكره بعبد المنعم ... آه ما أقسى الأيام ...
بل ما أقسى ولده لقد أحال جمرة حياته رماداً ذره في الهواء ..
يا للابن العاق ... يا للبحود ...

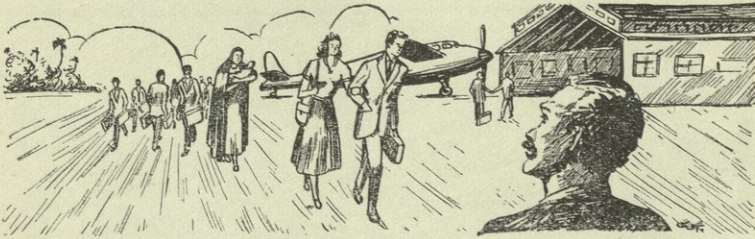
وكانت الدقائق تمر ثقالاً . وكأن الواحدة منها ساعة
بل يوم بل دهر . وخال ان زوجته قد أبطأت عليه .. لماذا

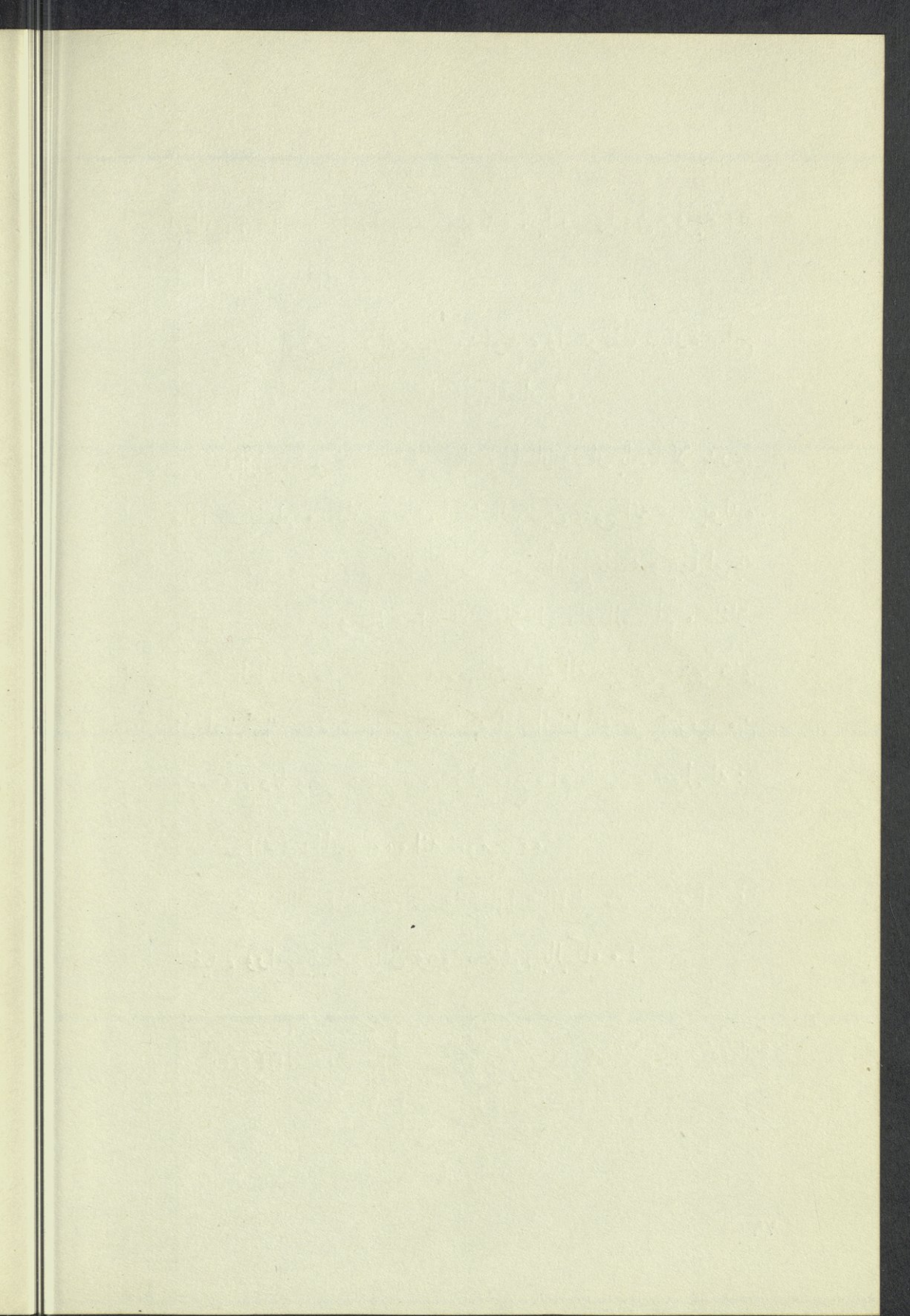
أبطأت؟ هل هي متواطئة مع ولده؟ يا ويحها من زوجة ويا
للساعة الرهيبة !!

وترك البيت وكأنه مسير مدفوع ، واستوقف سيارة صاح
بسماتها : « الى المطار » عجل الى المطار ! »

ونزل « أبو فتحي » فى ساحة المطار وسار باحثاً لا يدري
ماذا سيفعل . كان يبحث زائف العينين حتى انه مرّ بولده
« فتحي » وزوجته فلم يلفتا نظره . حتى ألغى نفسه وجهاً لوجه
أمام « أم فتحي » وكانت تحمل طفلاً لم يبلغ العام . طفلاً
وسيم الطلعة ، مشرق الوجه يجرّك يديه الصغيرتين وهو يشغو
ثغاء الحمل ... شخص بعينه الى الطفل وهو يقترب من
زوجته ، دنا وهو يتطلع مبهوراً لسمع « أم فتحي » تقول له :
- انه عبد المنعم ... انه نعومي ..

وكالطائر المتفرض تحت قطرات المطر مدّ يديه آخذاً
حفيده وراح يقبله بحنان وهو يجهش بالبكاء . !





عنز ما كنت في سن ولدي

استوقفني ولدي وأنا أغادر البيت مساء وطلب اليّ
ان ألقى نظرة على قطعة انشاء مدرسية كتبها على طلب معلمه
فبادرته قائلاً :

- حسناً سأطالعها • انما اياك أن تطلب اليّ تصحيح
أخطائها • ان تلميذاً مثلك في الصف السادس الابتدائي يجب
أن يعتمد على نفسه فقط عندما يعرض كتاباته على معلميه •
فقابلني بضحكته المعهودة وألقيت نظرة على انشائه فاذا بي
أطالع قطعة أخلاقية عنوانها « آزرُوا الفقراء » يحاول فيها تحليل
حكمة أملاها على صفه مدرس الإنشاء وهذه الحكمة هي :
« من آوى فقيراً فقد كسب أجراً كبيراً »

فرغت من قراءة القصة وأعدت الورقة الى ولدي وقد
بدت على وجهي امارات لم يفقه لها معنى •

- أراك كمن يفكر عميقاً يا أبتاه ••

- لا شيء يا بني .. انشاؤك حسن لولا بعض الجمل
الركيكة . أعد النظر فيه أنت قبل تقديمه الى المعلم .

وتركت الدار ، وأنا شارد الفكر ، وقصدت النادي حيث
انتجيت مكاناً قصياً عن الحاضرين وأطلقت لفكري العنان
ليستعيد ذكريات بعيدة ترجع الى ما قبل ربع قرن وتزيد ، الى
يوم كنت في سنّ ولدي لا همّ لي الا الكتاب والمدرسة .
ولا قدوة لي الا أبي والمعلم .

ألا ما أغرب المصادفات ! انه كان موضوعاً أشبه بموضوع
اليوم ان لم يكن هو نفسه ، فقد طلب الينا يومذاك معلم اللغة
العربية أن نكتب في موضوع ايواء الفقير واطعام الجائع واكساء
العريان وما زلت أتذكر كيف ان المعلم كان يشرح لنا البحث
بقوله « يا أولادي عندما تكتبون في هذا الموضوع يجب أن
تعبروا عن أخلاق مستمدة من أعماق نفوسكم ، لا أريد مجرد
كلام . ان عليكم أن تقرنوا الاقوال بالاعمال »

يا لها من ذكرى أخذت صورها تتراءى أمام عيني كأنني
أشاهد فلماً سنياً . فقد حدث لي ، غداة كتابة ذلك الموضوع
واستيعابه بعد أن شرح المدرس أهدافه ومراميه ، ان أبصرت

وأنا عائداً الى البيت مساءً طفلاً في العاشرة من عمره جلس
القرفصاء على رصيف الشارع وقد شحب وجهه وهزل جسمه
وتمزقت ثيابه ، أبصرته يتطلع الى المارة دون أن ينبس بكلمة
على غير ما نعهده في الفقراء المتسولين • دنوت اليه فحدجني
بنظرة حزينة خرساء ناطقة •

وهنا ارتسمت أمامي نصائح المعلم واحدة واحدة والحاحه
علينا بوجوب اقران القول بالعمل فما كان مني الا أن خاطبت
الطفل الشريد :

- اتبعني لتنام في بيتنا وسأبقى عندنا طويلاً تأكل
وتلعب •

ففغر المسكين فاه غير مصدق ما سمعت أذناه وقام متعشراً
وتبعني وهو يتمتم بكلام لم أفهم منه سوى كلمة « الله يطول
عمرك »

لم نسر طويلاً حتى وصلنا الشارع الذي تقع فيه دارنا واذا
بي ووالدي وجهاً لوجه وقبل أن يسألني عن رفيقي بادرته :
- انه فقير مشرد ، فهل لديك مانع أن يسكن معنا رديحاً
من الزمن ؟

فبدت امارات الاستغراب على وجه أبي وقال بلطف :

- ولكنك تعلم يا ولدي ان دارنا ضيقة ، ومهمة ايواء
المشردين لا تقع على كواهلنا نحن ، دعه يذهب في سبيله ..
قال هذا وأخرج قطعة نقود ناولها لرفيقي وودعنا واثقاً
من انني لا أخالف له رأياً .

وجدتني في مأزق حرج بعد هذه الصدمة ولكنني لم
أياس وقت في نفسي : لماذا لا آخذ بيد هذا الفقير الى دار
معلمنا الفاضل ، وهي تقع في الشارع المجاور لشارعنا ، لا شك
في أنه سيرحب بايوائه لانه رجل صالح وقد كان صباح اليوم
على جانب عظيم من التحمس لموضوع ايواء المعوزين .

اصطحبت الصبي وأنا أشجع نفسي وأقوي من عزمي
حتى بلغنا دار معلمي فطرقت بابها من غير تردد طرقات خفيفاً
فلم أسمع جواباً . تواصل طرقي وتعالى واذا بالنافذة تفتح
ويطل منها رأس امرأة تسأل :

- ماذا تريدان ؟

- أريد معلمي داود أفندي

- انه مشغول في تصحيح أوراق الانشاء . فهل شغلك

ضروري ؟

فأجبتها بلهجة استعطاف :

- ضروري جداً • قولي له تلميذك •
وقبل أن أتم كلامي اختفى الرأس وأغلقت النافذة • وبعد
لحظة فتح باب الدار وإذا بي أمام معلمي وهو يرتدي
« دشدشة » فضفاضة •

سلمت عليه فبادرني بالسؤال : - هذا أنت هنا؟ ماذا تريد؟
فأجبت به بخجل : - المعذرة يا سيدي •
وسكت لحظة وأنا أردد نظري بين رفيقي ومعلمي الذي



ما لبث أن قال وهو
يتلمس ذقنه :
- قل • تكلم •
لا تتردد فأنا مصغ
إليك • فقلت بصوت
هادئ :
- وجدت هذا
الفقر المشرّد تلفظه

الطرقات والازقة فوددت إيواءه في دارنا ولكن أبي لم يشأ
ذلك فهل لك يا سيدي أن تقبله في دارك لوقت قصير حتى
أفزع أبي بقبوله عندنا ؟

فعلت الدهشة وجه معلمي وبلغ ريقه وقال بتلثم :

- هذا طلب جميل .. أقدرك عليه ولكن بيتنا يضم اليوم
عدداً عديداً من الضيوف قدموا إلينا على غير انتظار .

وهنا حدث أن هبت ريح عاتية باردة فما كان من المعلم
إلا أن توارى وراء الباب بعد أن أغلقه وهو يقول :

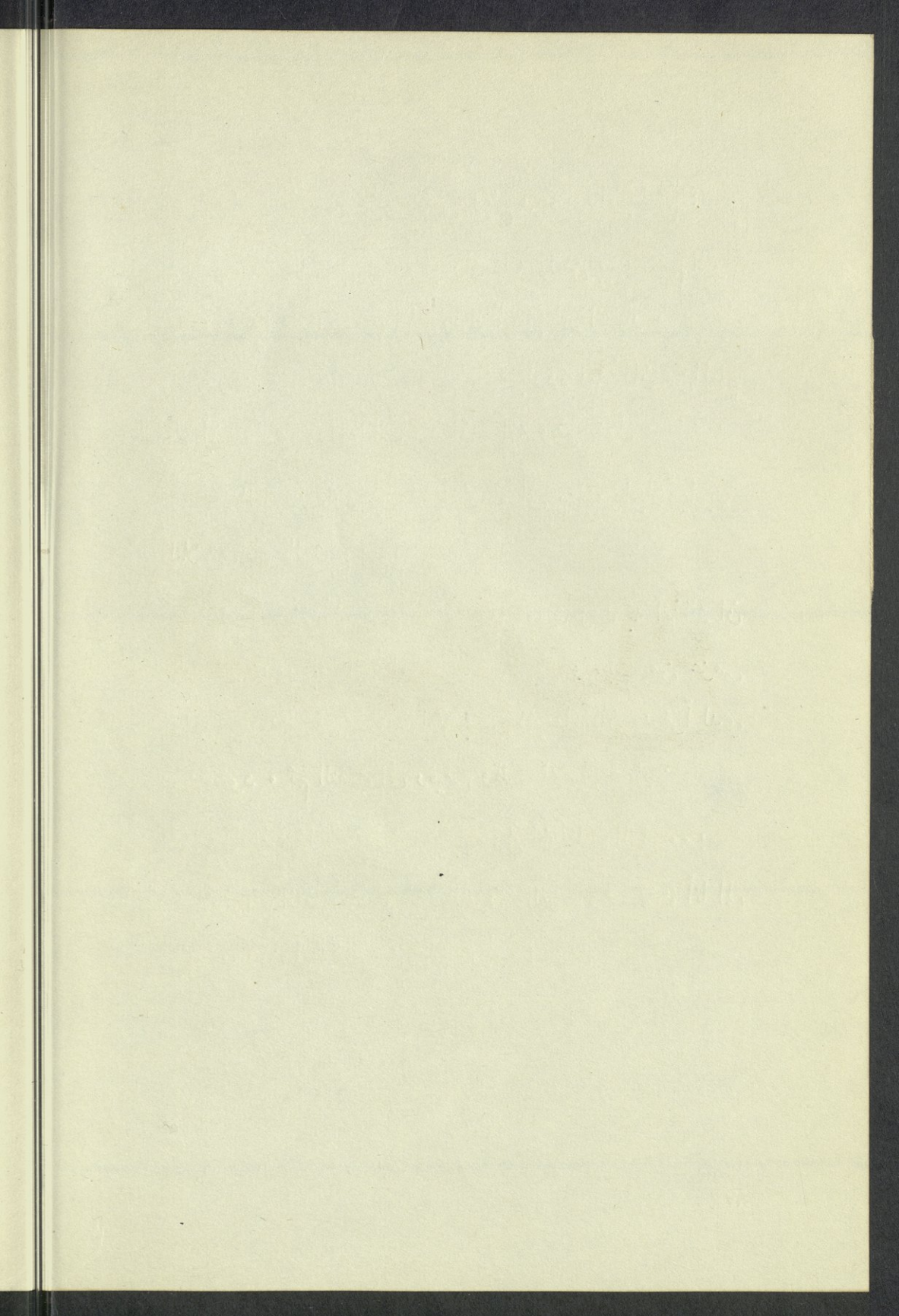
- الطقس بارد جداً . ارجع الى بيتك عاجلاً يا بني
لئلا تصاب بالرشح !

لم أستطع أن أقول كلمة وكل ما شعرت به آنذاك ان
الارض تدور بي الفضاء فشجعت نفسي وقويت من عزمي
وادخلت يدي في جيبي واخرجت كل ما كان مدخراً لدي
من نقود . ثم التفت الى رفيقي وقلت له على عجل :

- خذ هذا . وعد الى مكانك قبل أن يطبق الليل .. !

فراح الفقير يتعثر بين الحزن والفرح وعدت أنا الى
البيت كمن استيقظ من حلم غريب !





الفصل في الفرائض

كنت في مكتب صحيفتي منكباً على كتابة مقال
مدد الاسبوع عندما نقر الباب نقرأ خفيفاً • وقبل أن يسمع
الطارق أذناً مني بالدخول دفع الباب برفق ودخل محيياً
هاشاً باشاً كأن له معي معرفة قديمة •

تطلعت الى القادم ، وانا أومى اليه بالجلوس ، فلم أتذكر
انني شأهت هذه السخنة من قبل • هو شاب فى أوائل
العقد الثالث من سنه ، حسن الهمدام ، طلق المجيا ، تدلى
المنديل من جيئه الصدرى والتمع شعر رأسه بدهان عبق
انرايحة • قال لي مقدماً نفسه :

- ن • د • من خريجي الثانوية ، القسم الادبى ، لهذا

العام •

- تشرفت ، هل من خدمة مطلوبة ؟

فاستل من دفتر كان يحمله بيده بضعة أوراق وقدمها

لي قائلاً :

- قصة عراقية واقعية كتبتها خصيصاً لمجلتكم .

فشكرت له اهتمامه بمجلتي ووعدته بقراءتها ونشرها
إذا كانت تستحق النشر !

- كل رجائي يا سيدي ان تطالعها الآن فان كانت أهلاً
لنشر فقدمها للطبع في العدد القادم والا فأعدها لي وأشكرك .
رأيتني مضطراً الى النزول عند رغبة القصصي الفتى فأخذت
أطالع قصته باناة حتى اذا ما وصلت الى آخرها كان صبره قد
نفد فعاجلني سائلاً :

- كيف وجدتھا ؟

- آسف جداً ..

- هل من أخطاء في القواعد أو اللغة ؟

- كلا .. لا شيء البتة من هذا القبيل ، انما أسلوبها
وموضوعها مضطربان .

- هاتها اذن ..

كنت منتظراً أن يأخذ منه التأثر مأخذاً بعيداً شأن البادئين
من الكتاب في سنه فاذا به قد حافظ على ابتسامته وهدوئه

وودعني على أمل أن يقدم لي في موعد قريب قصة ثانية يرجو أن يكون في انشائها أكثر توفيقاً .

في اليوم التالي زارني الفتى يحمل قصة ثانية عنوانها « نفس ثائرة » فلم تكن أوفر نصيباً من سابقتها . والحق انني ألمني أن أرفض قصته في هذه المرة كذلك ولكن رفضي هذا لم يكن بد منه . وغاب يومين آخرين وفي اليوم الثالث قدم لي قصة ثلاثة عنوانها على ما أتذكر « حب طائش » فكان شأنها شأن أختيها .

في هذه المرة قرأت على وجه صاحبي مزيجاً من امارات الحيرة والامتعاض والألم وعندما قام يصفحني مودعاً قال لي :
- سيكون غيابي عنك هذه المرة طويلاً ولكن القصة التي سأحملها لك في المرة القادمة ستكون موضعاً لاجبابك .
الآن عرفت ماذا تريد . انك وقراءك تريدون شيئاً مقتطعاً من الحياة .. من صميم الحياة .. هذا شيء ضروري . فالى الملتقى ..
- الى الملتقى . سأسر دائماً بزيارتك .

وكانت غيبة طويلة أو شكت أن أنسى فيها حادثة الفتى . وفي صبيحة الجمعة الماضية اذ كنت أطالع صحف الصباح نقر

الباب نقرتين فقلت تفضل فاذا بالداخل صاحبنا بعينه فتبادلنا التحية كصديقين حميمين وبدأت بالحديث باسماء :

- أهلاً بك وبالقصة التي تحملها في جيبك لا شك في أنها ستحل مكاناً بارزاً من صحيفتي •

وكان لي من الوقت ما سمح بأن أمنع النظر فيه فاذا بي أراه هذه المرة هادئاً هدهوئاً كثيراً ، حاد النظرات تبدو على وجهه امارات تفكير مكبوت • سكت قليلاً ثم قال بصوت خافت :

- لم أحضر هذه المرة بشأن قصة أطلب نشرها انما حضرت راجياً منك خدمة خاصة تسعدني كثيراً اذا أديتها لي •

وتطلع كمن يريد أن يثق من خلو المكان وأردف :

- ذلك عهد مضى وانقضى عهد القصص والمقالات ، وها نحن اليوم تجاه الحقائق الملموسة ، نحن اليوم في تيار الحياة الزاخر ، وما التفكير في القصص - بنظري على الاقل - سوى ضرب من الجنون ••

- وماذا في امكاني أن أقدم لك من خدمة ؟

- خدمة جلي قد يكون من اليسور عندك تقديمها لي ••

ولكن عليّ أن أحدثك أولاً حديثاً خاصاً قد يطول ، فهل
لديك متسع من الوقت ؟ بل قبل كل شيء هل أنت عند حسن
ظني بك ؟

فابتسمت ابتسامة التطمين فتنفس الصعداء وأردف :

- أجل ان عليّ قبل مفاتحتك بما جئت من أجله أن
أحدثك بما حدث لي في الفترة الاخيرة ، ولا شك في انك ممن
يحفظون بالسرياتهم عليه أصحابهم فاسمع .

وبرغم انني لم أكن أتوقع سماع أمر ذي بال فقد شعرت
بشيء غير قليل من حب الاستطلاع وطويت الصحيفة التي
كانت بيدي استعداداً للاصغاء فبدت علائم الارتفاع على وجه
صاحبي وراح يحدثني بملء حريره :

- تتذكر يوم غادرتك للمرة الاخيرة ، لقد استصغرت
ساعتك شأني وقلت في نفسي بثت مدرسة يعجز خريجها
عن كتابة قصة تقرأ . واعتزمت أن أبحث عن موضوعي في
صميم الحياة ، وأن أصور أبطال قصتي من الواقع . والحقائق
أحياناً أغرب من الخيال فلماذا لا أبحث عنها حتى أعثر عليها .
واجتاحني رغبة ملحة ملكت عليّ مشاعري فكان لا يهدأ لي

بال • أهملت حالي ونسيت انني كنت موعوداً بوظيفة في
احدى دوائر الحكومة وان عليّ أن أراجع مميز الدائرة وأقدم
له كتاب توصية ثانية من شخصية معروفة ، نسيت كتيبي
ودروسي ومجلاتي ومثل أمام عيني شيء واحد فقط هو كتابة
قصة من صميم الحياة •

وفي هذه الموجة الصاخبة من الفكر تذكرت ان صديقي
« م » الذى تخرج معي من المدرسة قد وقع فى حب غانية من
فنانات المراقص • لم أكن واثقاً من صحة هذه الرواية وهل
وقع صديقي فى الحب أم لم يقع • انما لم يكن لدي شك فى
انه ممن لا يترددون فى المجازفة • مسكين ، شعرت نحوه
بعطف فى أعماق نفسي ، شعرت بأنني أرثي له • حسناً لماذا
لا أبحث عنه وأدرس حاله • لا بد ان حديثه ذو شجون وان
حادثته مما يستحق التسجيل •

ألا فليكن صديقي بطلاً لقصتي المنشودة ، ولا أبحث
عنه •

وفي المساء قصدت المرقص • كنت بطيء الخطوات
متردداً ولكنني ما لبثت أن اجتزت الباب وسرت لأصافح



صديقي بعد أن
اخترقت صفوفاً من
الموائد • كان الجاز
صاخباً والجو مخموراً
والدخان الخفيف
المعطر يملأ الصالة
بروائح تثير المشاعر ،
كانت القدود تتماوج

في لجج الفالز فتدنو وتناهى والصدور تعلو وتهبط ... يا للساعة
الرائعة •

واستقبلني صاحبي بتودد جم فقلت له :

- أراك وحدك ..

- وهل يهمك ذلك • انها ترقص هناك • تتطلعت الى
حيث أوماً فأبصرت قواماً لدناً ، وخصراً نحيفاً وطلعة ساحرة •

- انها ملاك ساحر • ذات الفستان البنفسجي ••

- يا لك من أبله ، قلت لك هناك •

فلم أعره التفاتاً وظلمت أتطلع باغراق واعجاب الى الفنانة

البنفسجية حتى اذا انتهت الرقصة وعلا التصفيق صحت على نفسي فاذا بصديقي يضحك مني ضحكاً عالياً .

وقد مني الى صاحبه وكانت رومانية تلفظ بقليل من الانكليزية فتحدثنا حديثاً قصيراً . ورحت أسجل في فكري حركات صديقي وسكناته ودعاباته مع فائته . وقلت في نفسي ان مطلع القصة يتم عن انها ستكون ذات شأن فلا تألك روعي .

وسكت قليلاً وتهد تنهيدة حاول اخفائها وأردف قائلاً :
- ولكن روعي كان في مكان آخر ، كان حائماً حول الفنانة الاخرى ذات الثوب البنفسجي التي جلست لوحدها على مقربة منا . كانت رزينة الحركات ، عميقة النظرات ، ألقت عليّ نظرتين في فترتين من الزمن ، لا أظنها تعمدتني فاشعرت بقلبي يتزحزح ورشقتني بابتسامتين صغيرتين فأحسست برأسي يدور بي الفضاء . وأشحت عنها بوجهي وعضضت شفتي مؤنباً نفسي : ما هذا الحمق ؟ ان عليّ أن أتبع فصول قصتي لا ضمن النجاح هذه المرة .

وأصبحت زبوناً مداوماً في هذا المرقص ، على الرغم من انني لم ألاق صديقي بطل قصتي المشودة الا نادراً ، ورأيتني

فى وضع يتطلب منى أن أتعلم الرقص « الفوكس تروت »
و« الوان ستيب » و« الفالز » على الاقل . فتعلمتها فى أقل من
عشرة أيام ! حقاً ان هذا لأمر عجيب . صدقنى يا عزيزى ان
دروس الرقص كانت سهلة المنال جداً بل كانت ادعى الى
ارتياحي وشوقى من أى درس تلقيته فى حياتى .

لا أريد اطالة حديثى ، فلقد يكون فى ذلك ازعاج لك .
أتقنت الرقص وراقصت ذات الثوب البنفسجى ، شعرت
بأنفاسها تداعب وجهى ، وضدورها يلامس صدري ، نعمت
بهمساتها الموسيقية تسكبها فى أذنى ، شمت العطر الفواح
من اردانها .. يا لله لم يحضرنى كلمة أقولها لها اذ ذاك سوى
ان قلبى أسرع فى خفقانه فكنت أرقص مدفوعاً لا دافعاً ، كانت
هى التى توجه خطواتى لأنها شعرت بارتباكى .. وعند
انتهاء الدورة قلت لها بصوت لا أظنها سمعته : « أشكرك »
وقصدت مكاني ناسياً ان على اتصالها الى كرسيها . اعتذرت
منها فى الرقصة الثانية عن تقصيرى فابتسمت متحبة وتوثقت
أواصر الصداقة بيننا . لم أنقطع ليلة عن المرقص لأننى جربت
مرة أن أتغيب عمداً فلم يغمض لى جفن تلك الليلة !
هل وقعت فى شرك حبها ؟ لا أظن ذلك فاننى صلب

الفؤاد ، قوي الشكيمة ، ولكنها الرأفة بحال هذه الفنانة البائسة
تغمرنى بمثل هذا الشعور • قد تسميه أنت عشقاً ، سمه
ما شئت فهذا لا يهمنى ، ما دمت أشعر بسعادة قربها •

- وصديقك ماذا تم من قصته ؟

- حقاً اننى لا أعلم ماذا طوحت به الطوائج • فهو ما عاد
يزور المرقص ، قد يكون أفلس أو سافر لا أدري •• كما ان
أمره ما عاد يهمنى •• فحسبى ما أنا فيه •

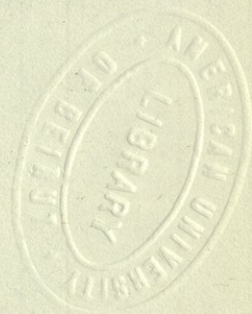
وسكت هنيهة مطرقاً ثم نظر الى باستعطاف وقال :

- أخبرتنى أمس والدمع يترقرق فى عينيها - آه من
عينيها الساحرتين - ان أمانة العاصمة بلغتها بوجوب مفادرة
القطر عند ختام اجازتها فى نهاية هذا الشهر لانها لا ترغب
فى تمديدتها •• أرايت هذا الظلم • أرايت الاعتداء اننى أتوسل
إليك أن تنتقد فى صحيفتك هذا الاسلوب فى معاملة الفنانات
اللواتي يسبغن على الحياة هذه المسحة من الجمال والذوق •
انتقد الامانة بمرارة عسى أن تعدل عن قرارها بشأن صاحبتى ••
تأكد ان سفرها معناه القضاء عليّ ••• ان سفرها معناه التفريق
الابدي بيننا لاننى لا أملك اليوم ما يعيننى على السفر صحبتها •

وهنا نهض يريد توديعي وقبل أن يسمع مني جواباً على
طلبه قال لي :

- ستكتب .. ستقدم لي هذه الخدمة ، ستنقذ حياتي
فأشكرك ..

كانت هذه الواقعة أجمل قصة أتخفني بها هذا القصصي
الضائع ولأنه لم يخطها قلمه كتبها أنا كما رواها لي
بالحرف الواحد !



بِطَائِفِ مَعَايِرِ وَقَصَصِ

لست ممن يعنون ببطاقات المعايدة . فخلال العشرين
سنة الماضية ، على ما أتذكر ، لم أبعث بواحدة منها الى أي
من أصدقائي أو عملائي ، حتى انني أحياناً كنت أنحي على
نفسي باللائمة لعدم مبالأتي بهذا الامر ولكنني أعود فأبرر
موقفي بقولي ان بطاقة تهنئة مع غلاف وطابع يريد لأعجز
من أن تعبر عن مشاعر صديق لصديقه . فان كان ارسال مثل
هذه البطاقة أمراً تقتضيه المجاملة أو العادة فأنا لا يضيرني أن
أتأخر عن الركب في مثل هذا المضمار

وقد عرف أصحابي عني هذا الامر فأخذ عدد من يبعثون
اليّ ببطاقات التهنئة يقل عيداً بعد عيد حتى سجل « الصفر »
منذ زمن بعيد ! . .

وحدث لي في العيد الاخير أمر يسترعي الانتباه . فقد
حمل اليّ البريد بطاقة معايدة كلفتني ثلاثة دراهم « عيدية »
تافهة قدمتها الى موزع البريد فحققت له أمنية ربما كان يمني

نفسه بتحقيقها ! • ولكن من هو يا ترى مرسل هذه البطاقة ؟ •
أخرجتها من غلافها فاذا بها تهنئة خطت باليد على الجهة
اليسرى بينما طبع على الجهة الاخرى رسم لشجرة جرداء الا
من بعض وريقات علقت ببعض غصونها وفي القمة من جذعها
حطّ طائر جميل اتجه رأسه الى السماء • صورة جذابة زاد في
روعتها ما أضفى عليها المصور من ألوان • وكانت التهنئة
مذيلة باسم « سالم » •

سالم ومن هو سالم هذا ؟ • ورغم ان البطاقة تحمل
اسم والده كذلك الا انني لا أتذكر ، من بين أصدقائي ، من
يحمل هذا الاسم • ترى من يكون هذا الصديق المنسي ؟
وبذلت جهداً غير قليل لا أتذكر حتى اسعفتني الذاكرة
فقلت لنفسي هازئاً : ويك كيف تنسى ذلك الفتى الذي
رافعت عنه في قضية من أطرف قضايا الجراء ؟ كيف تنسى
سالمًا ذلك الفتى الذي نوديت لانقاده من موقف غريب بل
مأزق حرج زجّ فيه بنفسه وهو لم يتخط العشرين من عمره ؟
أجلّ انه سالم الذي أسجل قصته اليوم وأمامي بطاقة معايدة
وصلتني منه على غير انتظار ! •

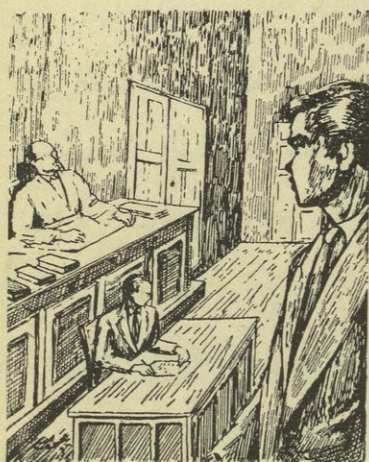
كان ذلك قبل نحو عشر سنوات • دقّ جرس التلفون

فى مكتبى واذا بالتكلم صديق حميم لى ىطلب منى بالراح أن
أتوكل عن فتى ىسكن بجواره ، اثم فى قضية جزائية تتعلق
بالآداب العامة • قلت لصاحبى ولكننى لا أميل الى التوكل
فى قضايا كهذه فأبان لى عن بعض تفاصيل الحادث وأكد أن
هذه القضية ستشیر اهتمامى وان الفتى لجدير بالرأفة •

وحررت فى أمرى وتساءلت كيف ىكون فتى كهذا جديراً
بالرأفة ؟ انه تحرش بجارته الفتية بالكلام أولاً ، ثم ، اذ نهرتها،
عاجلها بقبلة على رغمها • أليس عمل كهذا من أبرز الأدلة على
الوقاحة وانعدام الآداب ؟ لكننى رغم كل هذا توكلت عن
الفتى وأوليت قضيته اهتمامى وما زلت أذكر فيما أذكر ذىك
الىومين فى تاريخ مرافعاتى • فى الجلسة الاولى اقتصر الحاكم،
وكان حاكماً أليماً جدياً عرف بسعة اطلاعه فى سايكولوجية
الاجرام الى جانب تضلعه من القوانين العقابية ، على التسجيلات
التمهيدية من تعيين هوية المتهم وسماع تفاصيل الشكوى وأخذ
افادة الشهود • وهنا على أن أذكر احدى مفاجآت الدعوى
فعندما أراد الحاكم سماع شهود الاثبات طلب المتهم بنفسه
الكلام فأذن له الحاكم فقال :

- شهود ؟ ولماذا ؟ اننى معترف بذنبى •• ان الشهود

يسمعون فى حالات كهذه عندما يكون هناك انكار .. اننى
معترف يا سيدى .. معترف بقبح جرمى ...



وتطلع الحاكم من منصبه
الى كانه يستطلع رأيى فى
موقف موكلى وساد قاعة
المحكمة صمت مبعثه الدهشة
من كلام المتهم . فقلت :

- ومهما يكن فأنا التمس
سماع الدفاع ..

فهز الحاكم رأسه موافقاً وقال وهو يشير الى كاتب الضبط :
- الى صباح الاربعاء القادم لسماع الدفاع واعطاء القرار .

★ ★ ★

وكان صباح الاربعاء . ووقف سالم فى قفص الاتهام .
وجلست أنا الى جهة اليمين بينما جلست فى الجهة المقابلة
الآنسة المشتكية وبعض ذويها ونائب الادعاء العام . وكان
جو المحكمة يسوده شئ من التوتر وكثير من الترقب لما سيقوله
الدفاع وما سيقدره الحاكم .
قلت مشيراً الى موكلى :

- ليس هذا، يا سيدي الحاكم، بالفتى الشرير أو الشرس
أو الوقح . ولئن اعتبر ما قام به من عمل دليلاً على الشره
والشراسة والوقاحة فالاعمال الاندفاعية أحياناً ، لا سيما التي
ننظر اليها نظرة سطحية أو نأخذها على علاقتها ، لا تعبر تعبيراً
صحيحاً عن الرغبات الحقيقية الدافعة اليها . ان موكلي في
اتيانه العمل - ولا أقول في ارتكابه الجرم - الذي سيق من
أجله الى محكماتكم الموقرة لم يكن مدفوعاً بقصد جرمي . انه
كان في عمله هذا ضحية من ضحايا السنما ...

فسرت في القاعة همسات المستمعين وتطلعت المشتكية
باستغراب وسأل الحاكم :

- وما دخل السنما في الامر ؟ ..

- ان دخل السنما في هذا الامر لكبير يا سيدي الحاكم .
فالفتى المائل أمامكم كان يحلم بالساعة التي يتاح له فيها أن يطلب
يد الفتاة التي يعتقد انها تليق به . وشاءت المصادفة أن يتعرف
الى جارته الانسة المشتكية فيعجب برزانتها ويتمثل فيها فتاة
أحلامه حتى تملكه نحوها حب سد عليه المنافذ .

ولحظت ان الفتاة المشتكية كانت تتطلع الي باهتمام وعند
سماعها كلمتي الاخيرة أطرقت حياء وتابعت أنا دفاعي :

- فتى مهذب وساذج ، هذا الذى يقف أمامكم فى
ققص الاتهام . كان جد خجل من مفاتحة أي شخص بما
يشغل حواسه ويملاً جوانحه . كان حائراً فى أي الطرق يتبع
ليتقدم الى فتاة أحلامه ويطلب يدها .. حتى كان الدرس
المشؤوم الذى تلقاه ذات ليلة من أحد الافلام . فقد كانت
عقدة القصة فى الفلم الذى شاهده صاحبنا تدور حول فتى
فاجاً فتاة أحبها بحديث غرام فصفعته على جرائته فما كان منه
الا أن هاجمها بقبلة خاطفة انتهت بعناق طويل افضى الى
الزواج ...

وهنا علا الضحك من جوانب القاعة واشترك فيه الحاكم
والمشتكية وأنا وكان سالم مطرقاً خجلاً فتابعت وأنا
أشير اليه :

- أنظر اليه ، سيدي الحاكم ، هل هذا الفتى من الاشرار
الذين اعتادوا أن يقفوا بين يديك لجرائم مبعثها سوء الخلق ؟
انه ، كما ترى ، « ضحية السذاجة » و « سوء التلقي » و « خطأ
التطبيق » !

وجلست .. وأنا أشعر بأن اتوتر الذى ساد القاعة فى

البداية أوشك أن يتلاشى حتى ان المشتكية نفسها فارقتها ذلك
التجهم الذي لازم وجهها في بدء هذه الجلسة وطيلة الجلسة
السابقة •

ورفع الحاكم الجلسة لبضع دقائق ثم استؤنفت لافهام
القرار الذي كان يقضي بحبس موكلي شهراً واحداً مع
إيقاف التنفيذ •

★ ★ ★

استعرضت هذه القصة وأنا أتطلع الى بطاقة المعايدة التي
حملها اليّ بريد العيد وتذكرت آخر ما تذكرت خروجي من
قاعة المحكمة وأنا متأبط ذراع موكلي سالم وكيف ان الانسة
المشتكية حذجتنا بتلك النظرة الغامضة وهى تبسم ابتسامة
خفيفة لم أدر أكانت تحدياً لي أم عطفاً على موكلي
المسكين •• !



جميع الحقوق محفوظة

١٩٥٥/١١/١

في زحام المدينة

فهرس

الصفحة						
٣	..	..	..	..	..	تصدير
٥	..	..	..	..	..	الدمية المهشمة
١٣	..	..	..	..	..	الحمال الصغير
٢١	..	..	..	..	..	معلم اللغة
٣١	..	..	..	..	..	الدكتور يسري
٤١	..	..	..	..	..	تريد أن تحب
٥٣	..	..	..	..	..	ياقوتة الفرات
٦٣	..	..	..	..	..	الرقصة المنتظرة
٧٣	..	..	..	..	..	أبو فتحي
٨١	..	..	..	..	..	عندما كنت في سن ولدي
٨٩	..	..	..	..	..	القصصي الضائع
١٠١	..	..	..	..	..	بطاقة معايدة وقصة

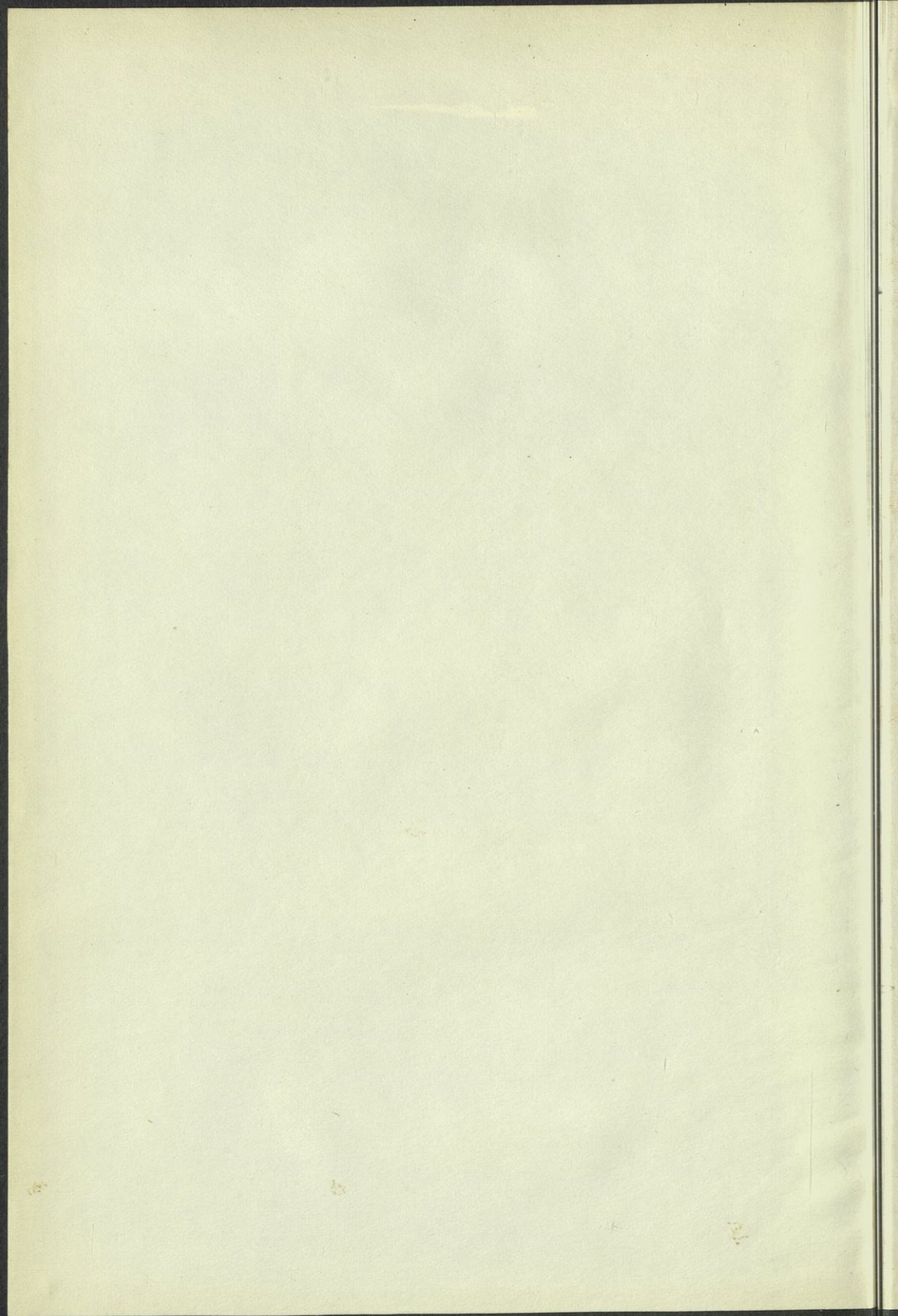
كتب مطبوعة:

للمؤلف

- ١ - الحصاد الاول : احدى وثلاثون قصة عراقية
- ٢ - قصص من الغرب
- ٣ - وليم تل (مسرحة) } مترجمة
- ٤ - أربع قصص صحية

مذكر للطابع قريبا

مجموعة أشعار للمؤلف



کتاب مطهر

مطهر

کتاب مطهر
کتاب مطهر
کتاب مطهر
کتاب مطهر
کتاب مطهر

مطهر للطبع

مطهر المطهر

892.73:Sh5351A:ع 1

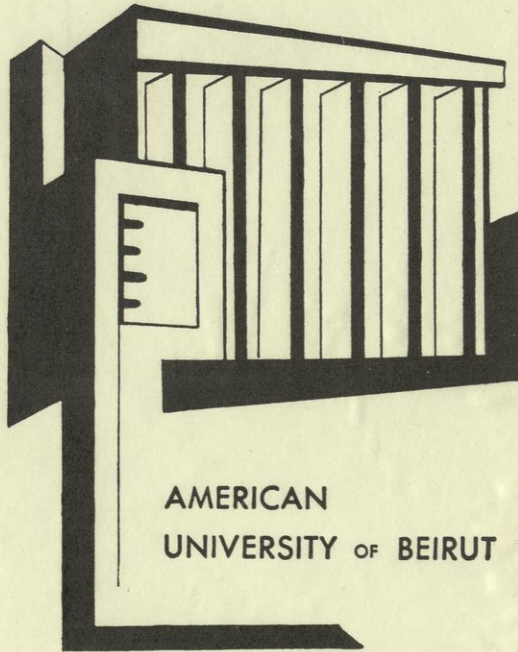
شاول، انور

في زحام المدينة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01038184



AMERICAN
UNIVERSITY of BEIRUT

892.78
Sh542FA
C.I